

قصص



مكانٌ جيدٌ لسلحفاةٍ محنطةٍ



ممدوح رزق

مكانٌ جيدٌ لسلحفاةٍ محنطةٍ

قصص قصيرة

ممدوح رزق

لوجو
الهيئة المربع

سلسلة
حــروف

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
سعد عبد الرحمن
أمين عام النشر
محمد أبو المجد
مدير عام النشر
ابتهال العسلى
الإشراف الفنى
د. خالد سرور

• مكان جيد لسلحفاة محنطة
• ممدوح رزق
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2013م
• تصميم الغلاف:
د. خالد سرور
• المراجعة اللغوية:
محمد منصور
• رقم الإيداع: ٢٤٥٨٩/ ٢٠١٢
• الترقيم الدولى: 978-977-718-607-0
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 أ شارع أمين سامي - قصر العيني
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

24

تعنى بنشر الأعمال الإبداعية لمبدعى مصر المتحققين

مكانٌ جيدٌ لسلحفاةٍ محنطةٍ

3

إهـــداء

إلــى (ملــك)

"تاريخ العالم هو لا شيء سوى تكرار للكوارث؛ بانتظار كارثة نهائية"

إميل سيوران

مثلما يأخذ أحيانًا شخص فى الحلم دور شخص آخر فجأة؛ يطلق (حنفى الأبهة) النار على (خيرى) فتشكل ملامحه على الفور وجه (سلفادور دالى). ينتهى الكيتش الأدائى لـ(مجدى وهبة) بتحول مباغت إلى أيقونة سيريالية عند تمثيل الموت. ليست الأيقونة كما هى فحسب، بل أضافت إليها اللحظة غير المتوقعة ما كان ينقصها أيضًا: طلقة فى الرقبة ودماء تتدفق من الفم.

***

فى اللقاء الثانى على الماسنجر مع قاصة عربية كنت أحاول بارتباك التوصل إلى الحيل اللغوية القادرة على توجيه الحوار بيننا عن القصة القصيرة إلى مسار ينتهى بجنس عبر "الكام"، حيث لم يكن باستطاعتى، وفقًا لمعرفتى بنفسى، وتحت الثقل المحموم لشهوتى تجاهها، تصديق أنه بالإمكان تحقيق معجزة تحطم سلطة الجغرافيا

وتجمعنا أنا وهى فى سرير واحد. كنا نتحدث عن تقنية ما وراء القص عندما سألتنى فجأة: معاك رصيد فى الموبايل؟

أجبتها: أيوة. ليه؟

كتبت القاصة العربية دون أن تخطئ فى حرف واحد: عذرًا لأنى مش معايا رصيد. ممكن تبعث رسالة للرقم ده فى مصر وتقول له إن حبيبتك تنتظرك على الماسنجر، وإنك لو ما دخلت الشات الآن فإنها لن تأتى لزيارتك الأسبوع القادم كما وعدتك؟

***

لكى يثبت اهتمامه العميق واقتناعه التام، يستمر صديقى فى هز رأسه رافعًا حاجبيه وأنا أتكلم. مع صلعه النصفى والغفلة التى تثقل عينيه وملامحه وتجعله أغلب الوقت يبدو كأنما استيقظ توًّا من النوم، أشعر بالامتنان للقدر الذى أعاد إنتاج وجه (إسماعيل ياسين) فى حالته مابعد الحداثية. يجلس صديقى فى المقهى وينظر لأسفل باستكانة كأن تاريخ العالم كله مر على التصاقه بقاع حفرة منسية داخل فيلم ردىء، ومن حين لآخر ينبغى على انفعالاته التظاهر بأن هناك أمرًا ما داخل حفرته أو خارجها يتجاوز حد تمضية الوقت ويستحق الشغف، أو على الأقل يستدعى الانتباه. المشهد الذى لم تره أبدًا لإسماعيل ياسين. اللحظة التى لا يريد فيها أن يكون عاديًّا أو حكيمًا أو مضحكًا، ولا يريد كذلك أن يخبر أحدًا بطريقة ما أن وراء ضحكاته تعاسة هائلة. النقطة التى تقع خارج الزمن ويريد أن يعطى عندها إشارة غير ملحوظة ربما بأنه يتمنى فقط أن يتبخر دون أن يموت.

***

منذ سنوات كثيرة قرأت فى مجموعة قصصية لكاتب لا أتذكر اسمه الآن، قصة قصيرة يوجّه القاص فى سطورها الأولى خطاباً مباشراً للقارئ عن أنه سيترك صفحات فارغة من أجله كى يكتب فيها أى شىء يريد أن يوثقه عن حياته. بعد ثلاث أو أربع صفحات فارغة فعلا عاد القاص ليؤكد على القارئ بأنهما الآن أصبحا أصدقاء دون حاجة لأى لقاء مباشر، وأن كلا منهما بهذه الطريقة ضمن وجود أحد ما سيظل يتذكره، ولن ينقطع أبداً عن زيارة قبره بعد الموت حتى لو لم يفعل ذلك حقًّا.

فى الصفحات الفارغة كتبت أن هذا القاص مخادع ويفترض بقرائه السذاجة، لأنه ببساطة لم يكتب عن الكيفية التى ستجعله يطّلع على ما سيكتبه أى قارئ عن نفسه فى المساحة التى خصصها له حتى يتحقق التوازن العادل للصداقة عبر الكتابة بينهما، وللذكرى التى ستظل حية داخل كل منهما بعد الموت. لم يطلب مثلا إعادة إرسال نسخة المجموعة القصصية إليه على عنوان ما حتى يقرأ هو الآخر ما كتبه القارئ عن حياته مما يؤكد أن الأمر لا يعنيه مطلقًا. كتبت أن هذا القاص إما أنه لم يجد شيئًا يكتبه، وإما أنه يسعى لتثبيت ذاته ككاتب فى وعى القارئ بطريقة مبتكرة تعتمد على استغلال لافتات عاطفية مبتذلة كـ(الصداقة دون لقاء)، و(الذكرى التى لا تموت)، و(المداومة على زيارة قبر صاحب لم أره أبداً)، وبواسطة مشاركة شكلية من شخص لا أهمية لسطوره سوى أنها ستضمن الحفاظ على الكاتب ومجموعته القصصية فى ذاكرته فحسب.

لا أعرف ما هو الدافع الكونى الذى جعلنى أتذكر هذه القصة وما دونته عن كاتبها فى الصفحات الفارغة حينما طلبت منى القاصة العربية إرسال الرسالة لحبيبها.

***

يقول (نجيب الريحانى) إن ناظر الوقف حرامى حمار، لكن من استنكر هذه الصفة بثورة مكتومة ليس (عباس فارس)، بل الحمار نفسه. من الذى اكتشف ملامح الحمار المختبئة داخل وجه (عباس فارس)؟ نجيب الريحانى، أم إبراهيم حلمى مخرج (أبو حلموس)، أم عباس فارس نفسه، أم أحد آخر؟ كيف تم هذا الاكتشاف؟ لم يقتصر الأمر على انفعال الملامح فقط، بل كان الصوت كذلك داعماً حاسماً فى الكشف عن الحمار الغاضب. هل يمكن تصديق وجود احتمال، ولو ضئيل، بأن الأمر كان مجرد صدفة؟ بالتغاضى عن الرسالة أو القيمة الأخلاقية المحتملة المراد تمريرها عن (غباء الشر) مقابل (ذكاء الخير) الذى ينتصر فى النهاية مخلصاً صاحبه من الشقاء الذى عانى منه طوال الفيلم! وبالتركيز على أن لقطة ظهور (الحمار) كانت خاطفة للغاية، سيكون من الوارد التفكير فى تفسيرات عديدة لذلك، أهمها فى تصورى هو: خطأ خاص بالمونتاج، خلل فى نسخة الفيلم بفعل الزمن، الاستجابة لرغبة (عباس فارس) فى عدم التوقف طويلا عند هذا الاكتشاف.

***

كان يمكننى بمنتهى البساطة إخبارها بأننى أرسلت الرسالة دون أن أرسلها متحصناً بأى تبرير منطقى يمكنه أن يفسر فيما بعد عدم

وصولها لحبيبها. لكننى بمنتهى الطاعة والإحساس بالواجب، وبحرص تام على الالتزام الحرفى، كتبت الرسالة فورًا وأرسلتها. كان الامتثال التلقائى لطلب القاصة العربية بمثابة توجيه شكر وتقدير للغيب الذى قرر حمايتى من الاستمرار فى السعى إليها دون أن يحملنى مسؤولية التراجع أو يشعل بداخلى جروح الحسرة والخزى الناجمة عن الهروب بتحريض من الخوف. أنقذنى من الشعور التقليدى بالعجز والفشل الذى كنت على يقين بأن آلامه المعتادة تتجهز لتعذيبى من جديد فى جميع الأحوال، سواء طال الوقت دون أن أصل لجسد القاصة العربية –كما حدث مع جميع من حاولت الوصول إلى أجسادهن– أو حينما تأتى لأول مرة اللحظة الوحشية التى سيواجه عرى كل منا الآخر وينجح اضطرابى الخجول ببراعة فريدة فى تدمير العالم. كتبت الرسالة كأننى أتحسس بفرح جدران الكوخ الصغير الذى انكمش متواريًا بداخله غير مصدق أننى ما زلت محتفظًا به بعد أن كنت على وشك خسارته. كمن يخفى باعتزاز خبيث مكسبًا غير متعمد أخبرت القاصة العربية بحماس واثق بأننى أرسلت الرسالة ولم أخبرها بأننى سأشاهد الليلة فيلما لنجمة البورنو (Jaylene Rio) لأنها تشبهها كثيرًا، وأننى سأكتم صوت الفيلم لأستمع إلى (كونشرتو براندنبورغ) لـ(باخ) أثناء الفرجة والاستمناء. لم أخبرها بأننى سأكون سعيدًا جدًا.

***

عرفت فى طفولتى أن للسيارات وجوهًا بشرية. ملامح تعطى نفس الانطباعات التى تتركها لديك ملامح الناس. منذ ذلك الوقت

أصبحت أنواع السيارات بالنسبة لى طيبة أو شريرة أو كوميدية أو ثقيلة الدم أو خبيثة أو مغفلة أو غير مبالية أو غامضة أو خجولة أو متطفلة أو غاضبة أو طفولية. كنت أتأمل السيارات الواقفة فى الشارع وقتًا طويلا وأتخيل حكاية ما تحدث بينها محدداً لكل سيارة الدور الذى يتناسب مع طبيعة وجهها. لماذا كانت (الفولكس) تأخذ دائمًا شخصية العجوز الحنونة؟ اكتشفت أنها تشبه جدتى كثيراً: تهدل الوجنتين، العينان المستسلمتان بوهن، واللتان لا تضمران أكثر من الرغبة فى الأمان والبقاء وسط ألفة العائلة والذكريات، الارتخاء الأمومى الناعم للجلد أسفل الذقن، صغر الحجم، التمسك بالانزواء على الكنبة أو السرير بالنسبة لجدتى، وفى ركن ضئيل بالشارع بالنسبة للـ(فولكس). كانت جدتى تعيش وحيدة فى بيتها القديم المتهالك، حتى وهى فى بيت أى من أبنائها كانت تبدو أنها تعيش وحدها أيضًا. فى الليل، وبينما الجميع نائمون، كنت أحيانًا أخرج إلى البلكونة وأجد سيارة (فولكس) واقفة وسط البرد والسكون والإضاءة الخافتة. كنت أشعر بأن لدينا أمنية مشتركة فى أن أنزل إليها وأحتضنها أو أربت عليها كى تطمئن أن أحداً معها، لكننى لم أتمكن أبداً من تحقيق هذه الأمنية لنفسى أو للـ(فولكس) أو لأى كائن يشبهها.

***

لا يستغرق الـ sign outأكثر من لحظة واحدة. لكنها كانت كافية لأن أنتبه للمرة الأولى بأن كاتب القصة لم يذكر شيئًا عن نفسه. كل ما فعله أنه ترك صفحات فارغة دون أن يترك أى أثر لملامحه. أنا

الذى كنت أريده أن يرانى بأى شكل، واعتبرت عدم رغبته فى ذلك إهانة تتطلب الانتقام ولو بكلمات لن يقرأها أبدًا. اعتداء على حقى فى الألوهة، والذى لن أحصل عليه إلا بتثبيت ملامحى فى ملامح أخرى. لم يكن يريدنى أن أرى وجهه، وأيضًا لم يكن يريد أن يرى وجهى. ربما ليس لأن لدينا نفس الوجه، ولا لأن وجه كل منا لا يختزن الوجوه كافة فحسب، بل يحتفظ كذلك بأحلامها وكوابيسها وجميع هواجسها السرية التى لا تدركها عن نفسها. ربما رفض منح أى فرصة لأن يحاول وجه كل منا الاستيلاء على الآخر. لم يرغب فى أن نتورط فى الصراع الأزلى على الطمس المتبادل للملامح واحتلالها. ربما كان يعرف أن كل الوجوه ليست سوى حالات مزاجية مبهمة لوجه غائب أو مختبئ، وأن علينا فى المقابل أن نكون لامرئيين، امتداد لانهائى من الاحتمالات غير المؤكدة. كأنه كان يريد أن يحرق السماء بوضع وجهينا فى خفائها المقدس ليضمن للصداقة والذكرى الخلود فعلا.

لا يستغرق الـ sign outأكثر من لحظة واحدة. لكنها كانت كافية لأن أتذكر أننى الذى كتبت القصة القصيرة ذات الصفحات الفارغة ولم أنشرها أبدًا.

18

ماريا نكوبولوس

۱۹

20

هل هناك من يتذكرها حتى الآن؟ ربما آخر ما كتب عنها هو خبر وفاتها الذى نشرته مجلة Truth الإنجليزية فى الثالث من يناير عام ١٩٧٧، والذى جاء فيه أن الشابة اليونانية التى اشتهرت بقدرتها الخارقة على المشى بظهرها قد فارقت الحياة مبكراً عن عمر لم يتجاوز الثامنة عشر. ذكرت المجلة أن الموهبة الغريبة لـ(ماريا نكوبولوس) قد ظهرت فى طفولتها، وتحديداً فى سن السادسة، وأنها اكتشفتها بالصدفة حينما أرسلتها أمها ذات مساء لشراء البقالة من أحد المحلات القريبة من المنزل. فى طريق عودتها خطر فى ذهن الطفلة رغبة مفاجئة فى أن تجرب الرجوع إلى البيت بظهرها. حينما نجحت فى الوصول بهذه الطريقة دون أن تتعثر أو تصطدم بشىء، ودون أن تنجح محاولات المارة فى منعها من المشى هكذا خوفاً عليها؛ أعجبتها اللعبة وقررت أن تمارسها دائماً. لم يمض وقت طويل

حتى لفتت ماريا انتباه أسرتها وعائلتها وجيرانها عندما تأكدوا بالفعل أن هذه البنت تستطيع المشى بظهرها دون أدنى مشكلة، ودون مساعدة من أحد حتى فى الأماكن الغريبة عنها التى لم تذهب إليها أبدًا من قبل لدرجة أنها اشتهرت بلقب (الفتاة ذات العينين الخلفيتين). اقتبست المجلة بعض الفقرات التى جاءت فى كتاب Virtue، والذى أصدره الباحث الأمريكى (روبرت جونسون) عام ١٩٧٥ عن دار نشر Honesty، وتناول فيه حياة (ماريا نكوبولوس)، حيث جاء فى الكتاب أن ماريا حينما بلغت الثامنة كانت شهرتها قد وصلت لجميع أنحاء اليونان خاصة بعد اكتشاف أن الطفلة الصغيرة تستطيع أيضًا صعود السلالم ونزولها، وكذلك عبور الطرق المزدحمة، كما أن لديها القدرة على القفز والجرى بسرعة كبيرة بظهرها. كتب روبرت أن حالة ماريا كان من البديهى أن تثير شغف واهتمام العلماء والأطباء، لكنهم فشلوا بعد كثير من الفحوصات والتجارب فى الوصول لتفسير هذه الظاهرة، حيث تأكدوا من أنها بنت عادية، ولديها تكوين عضلى وعصبى طبيعى جدًا ليس فيه أى اختلاف عن بقية البشر. تفسير ماريا نفسها لموهبتها لم يشبع فضول الآخرين أو يضع نهاية لانبهارهم لأن كل ما استطاعت أن تجيب به على الاستفهامات المتعلقة بكيفية قدرتها على التحكم وتوجيه جسدها، هو أنها لا ترى شيئًا بينما تسير بظهرها، وإنما يعتمد نجاحها فى التحرك بهذا الشكل على الاستجابة التلقائية لإحساسها الخاص. ما زاد الأمر غرابة وأصاب المهتمين بحالتها بذهول أكبر هو فشلها التام فى السير للأمام وهى مغمضة العينين، حيث لم تنجح فى

تفادى الاصطدام بالأشياء التى تبعد عنها مسافة خطوتين فقط. كانت كل ما تستطيعه هو السير بظهرها فقط!

يذكر (روبرت جونسون) أيضًا فى كتابه، والذى أعيدت طباعته أكثر من مرة كما ترجم إلى عدة لغات، ولاقى انتشاراً واسعًا فى العالم أن ماريا ظلت رافضة تمامًا أى نوع من الاستغلال لموهبتها مهما كان الإغراء المادى، حيث رفضت عروضًا سينمائية لا حصر لها، وكذلك دعايات وإعلانات تجارية، حتى المقابلات الصحفية والتليفزيونية وضعت حداً لها حين بلغت الثانية عشر، كما أنها امتنعت أيضًا عن المشى بظهرها فى الأماكن العامة أو فى المناسبات التى تشهد حضور عدد كبير من الأشخاص أو يتاح فيها التصوير بأى شكل. لكن روبرت يذكر أن ماريا وافقت على الظهور مرة واحدة فقط، ودون أجر، عام ١٩٧٤ فى أحد أفلام المخرج الإيطالى الشهير (أليكساندرو سيمونى)، وكان بعنوان Justice، حيث اقتصر دورها على المشى الصامت بظهرها لثوان قليلة فى مشهد النهاية الذى جمع بين النجمين الفرنسيين (أندريه روبير) و(إيزابيل برنار) وهما عاريان وسط نافورة فى ميدان عام، ويتبادلان قذف أشلاء وعظام بشرية على بعضهما بفرح. لكن المجلة تذكر أنه فى عام ١٩٧٥ أيضًا سمحت ماريا لشركة (Gut) الألمانية باقتباس موهبتها فى قصة فيلم كارتون من إنتاجها، وكان بعنوان . (Schnheit) جسّد الفيلم حياة الطفلة الصغيرة (كارولين) التى تعانى من الوحدة والاضطهاد الأسرى والمجتمعى بسبب إصرارها المتواصل على تقمص شخصيات الحكايات الخيالية القديمة. فى أحد مشاهد الفيلم تتخيل

الفتاة أنها تمشى بظهرها بينما عيناها مثبتتان بحزن على والديها وأخواتها وهم ينظرون إلى انسحابها من حياتهم بحسرة لتعبر وسط ضحكات وسخرية أهل المدينة حتى تصل فى النهاية إلى عالم سحرى يتيح لها أن تعيش فى أمان داخل الأساطير التى تتمناها.

أشارت (Truth) كذلك إلى أنه فى عام ١٩٧٦ تعرضت ماريا لأزمة نفسية عنيفة بسبب نشر تسجيل صوتى منسوب لوالدها يفسر فيه لأصدقائه وهو فى حالة سكر شديد موهبة ابنته، حيث أرجعها إلى الليلة التى حملت فيها زوجته بماريا. قال إن زوجته حملت وهما واقفان وظهراهما متلاصقان تمامًا، وحينما رد عليه أحد أصدقائه فى التسجيل الصوتى متهكمًا بأن هذا الوضع مستحيل تشريحيًا؛ أجابه والد ماريا بأن العامل الرئيس لإنجاحه هو قدراته الخاصة.

جاء فى خبر وفاتها أيضًا أنه فى مذكراته المنشورة عام ١٩٧٣ كتب الناشط اليابانى والعضو السابق بـ(المنظمة العالمية للسلام والتنمية البشرية) التابعة للأمم المتحدة، (شينجى ميزونوما)، أن (ماريا نكوبولوس) اختارتها المنظمة لتكون سفيرًا لها عام ١٩٦٩، حينما كانت فى العاشرة من عمرها، وأنها سافرت فى جولة حول العالم لنشر الرسائل الخيرية للمنظمة. ذكر شينجى أنها فى زيارتها لمصر التقت ماريا بالرئيس (جمال عبد الناصر)، وبالمستشار (حسن الهضيبى) المرشد العام للإخوان المسلمين، وبالبابا (كيرلس السادس) بطريرك الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وأنها اصطحبتهم إلى طريق مصر الإسكندرية الصحراوى فى الرابعة فجرًا، وبسرية تامة، ليجربوا معها المشى بظهورهم فى العراء، وأنهم كانوا سعداء

جداً بهذه المحاولة رغم فشلهم فيها. نفس الأمر - والحديث لا يزال لـ(شينجى)- كررته ماريا مع الرئيس الأمريكى نيكسون، والسوفيتى بودجورنى، والفرنسى بومبيدو، وفيصل ملك السعودية، وجميعهم أيضاً فشلوا فى المشى بظهورهم.

(أيرينى سافالاس)، وهى الصديقة المقربة لماريا، وآخر من تحدث معها قبل وفاتها بحسب المجلة الإنجليزية، ذكرت أن حديثهما الهاتفى اتسم بالمرح المعتاد، وأن ماريا كانت فى حالة طبيعية جداً، ولم يصدر عنها ما يشير إلى معاناة أو ألم، لكنها فى نفس الوقت أشارت إلى أن ماريا أخبرتها -دون مبرر واضح- بأن الحياة كان من الممكن أن تكون جميلة حقًّا لو أتيحت لكل إنسان القدرة على التفحص الدائم للنقطة التى ينطلق منها تحركه داخل العالم، وأن المشى بالظهر حينما يعتبر معجزة، فهذا دليل على مدى بشاعة النوايا التى وقفت وراء الوجود البشرى لأن الغيب لو كان يريد بنا خيراً لجعلنا جميعاً قادرين على المشى بظهورنا. بعد هذه الكلمات بساعة واحدة وجدت (ماريا نكوبولوس) ميتة فى سريرها وبين يديها رسم لـ(توم وجيرى) وهما يجريان بظهريهما نحو شارع ضبابى وينظران بفزع للأمام، حيث مبتكرهما (جوزيف باربيرا) يجلس مبتسماً. بالطبع لم تكن هناك أى شبهة جنائية.

***

هوامش

روبرت جونسون (١٩٧١ ـ ٢٠٠٧): موظف سابق بشركة (جوجل)، كان يعيش حياة طبيعة مع زوجته وأطفاله بمدينة (سياتل) الأمريكية لكنه في عام ٢٠٠٢، وبشكل مفاجئ، قدم استقالته من الشركة وهجر أسرته، وأمضى بقية حياته متجولا بالترومبيت ليعزف الجاز في الشوارع. توفى فوق أحد أرصفة (وول ستريت) بعد لحظات من عزفه (We Have All the Time in the World)لـ(لويس أرمسترونج).

– اليكساندرو سيموني (١٩٣٣ ـ ١٩٧٣): مناضل ماركسي إيطالي قاده تطوره الفكري إلى تأسيس ديانة تدعو لعبادة الأدب البوليسي، حيث كان يؤمن بأن جميع الحقائق الأساسية للكون تكمن داخل تاريخ هذا الأدب، وأن الانشغال المتواصل بالبحث والتنقيب داخل هذا التاريخ سيكشف للإنسان حكمة الوجود، ومن ثم يرشده إلى طريق الخلاص.

– أندريه روبير (١٩١٣ ـ ١٩٧٩): شاعر فرنسي. اشتهر بسرقة الملابس الداخلية للنساء وأحذيتهن وجواربهن وقبعاتهن. قاد مظاهرات الفتشيين للمطالبة بحقوقهم أثناء قصف القوات الألمانية لباريس في الحرب العالمية الثانية. قتله أحد أصدقائه بعد شجار عنيف فجره التنازع على أحد الكلوتات.

– إيزابيل برنار (١٨٩٩ ـ ١٩٣٧): عاهرة فرنسية كانت تشترط على كل زبون أن يضاجعها حصانها أثناء الممارسة معه. توفيت متأثرة بجروحها وهي تحاول إنقاذ أحد زبائنها من الحصان.

– شينجي ميزونوما (١٩٧٥ ـ ...): جني ياباني يرأس جماعة بحثية لدراسة تاريخ الدراما الإذاعية والتليفزيونية المصرية.

– أيريني سافالاس (١٩٧٩ ـ ...): مطربة راب يونانية اعتنقت الإسلام بعد حصول نادي الزمالك في فبراير ٢٠٠٢ على لقب أفضل نادي في العالم وفق الاتحاد الدولي لتاريخ وإحصاءات كرة القدم.

أشياء الزمن

ما كانوا يعتبرونه قويًا، ولا مصدر تهديد لأحد. بالعكس. كانوا يرونه عاديًا جدًا، وربما أقل، كما أنه فضلا عن عدم قدرته على الإيذاء يجدر به ألا يخرج بإسهاب من بيته ليوفر على نفسه الكثير من الأذى المضحك.

كانوا كثيرين جدًا للدرجة التى تجعل من المستحيل تحديد عددهم بدقة. لكنهم مع ذلك كانوا ملائمين تمامًا للتجمع فى وقت واحد داخل حجرة صغيرة للغاية وغلق بابها عليهم. كان ما يجمعهم هو الخوف. ليس الخوف منه شخصيًا، ولكن من تحوّل حكاياتهم إلى قصص قصيرة.

كانوا جالسين فى صمت ويفكرون فى نواياه القادمة التى لا يمكنهم التأكد منها. يحاول كل منهم تخيل سطور قصته المحتملة التى لم تكتب بعد، وما سيفعله التعرى الوشيك لحياته بعد نشرها.

فى نفس اللحظة كان كل رجل ينظر إلى النساء اللاتى يشاركنه الحجرة، وكانت كل امرأة تنظر إلى كل الرجال أيضًا. يستعيدون الذكريات التى كانوا يتمنون لو لم تخلق وما زالوا يتوسلون لها أن تتبخر. كان كل منهم أيضًا يتخيل حكايته التى لم تحدث.

بالقرب من هذه الحجرة كان هو جالسًا فى الشارع أسفل شرفة بيته القديم الذى لم يعد قادرًا على رؤيته. جاءه فجأة رجل عجوز منهك وضعيف البصر، وقال له إنه يبحث عن شخص كان يسكن فى هذا الشارع ولا يعرف عنه شيئًا منذ ثلاثين سنة. كان كاذبًا حينما ادعى للعجوز أنه يعرف من يبحث عنه. أراد فقط أن يجلس العجوز بجواره ويتكلم معه. أن يؤخر رحيله أطول وقت ممكن.

***

ظهور الأسنان

31

قال لى إنهم ليسوا ثوار ٢٥ يناير، وإنهم بلطجية مدفوع لهم لنشر الخراب والفوضى فى البلد. حرصاً على تاريخ بيننا لم يلمسه الأذى تفاديت الرد عليه، ولكننى سألته عن الدافع الأعمق للغضب بداخله الذى قد لا يكون له أى علاقة بمظاهرات إسقاط المجلس العسكرى. استبدلت عيناه الاستياء بالحزن، وبدا وجهه عالقًا عند حافة البكاء بينما صوته يحاول مقاومة الارتباك والوهن، وهو يخبرنى بأن ابنته التى تكبر فى العمر ترفض كل من يتقدم لطلب يدها. صارحته حين تكلم معها بأنه من المستحيل أن تتورط فى ارتباط تقليدى أو ما يسمى بـ"جواز الصالونات"، وأنها لن تتزوج إلا من ستختاره هى بنفسها بعيداً عن سلطة الأسرة. كان واضحاً، وهو يقول لى إنه يعرف السبب الذى لم تخبره به ابنته، وجعلها تفكر بهذه الطريقة. تحدث عن الخلافات العنيفة والمشاجرات المهينة

المتواصلة التى شهدتها بينه وبين أمها، والتى ربما رسخت يقينًا لديها بأنهما غير مؤهلين لاختيار شريك حياتها، وأن عليها أن تقرر بنفسها من هو الشخص الذى ستحاول أن تتفادى معه تكرار تجربة أبويها. ما يزيد المشكلة تعقيدًا -كما يرى هو- أن البنت أخبرته بأنها لم تقابل هذا الشخص حتى الآن، رغم أن لديها زملاء عمل كثيرين، وصديقات عديدات لهن أشقاء وأقارب، وفى نفس الوقت لا يستطيع أن يتحمل حقيقة المرور السريع للزمن، وتقدمه فى السن، وخوفه من الموت قبل أن يطمئن عليها. قال إنه يبكى بالفعل كلما رأى علامات الاكتئاب الذى ينتابها من وقت لآخر، فأحيانًا يدخل إلى الحمام بعدها، ويجد فى الحوض كتل الشعر التى تساقطت منها وهى تغتسل، فضلا عن الذبول وفقدان الشهية والنوم كثيرًا والجلوس بمفردها مدة طويلة رافضة أن تتحدث مع أحد. بملامح غريق يتوسل النجاة توقف عن الكلام. أشعل سيجارة ظلت ترتجف بين أصابعه، وهو يبعد الحيرة التى تنزف من عينيه عن وجهى، لتفتش نظراته المثقلة باليأس فى الفراغ عن رحمة ما. قلت له إن أهم شىء، وهو لم يكن فى حاجة للتأكيد عليه، هو ألا يحاول إجبارها على أى أمر، وأن يحرص على عدم بلوغ المناقشة بينهما إلى مستوى الحدة أوالصدام، ثم اقترحت أن يشترك لها بأى من الأندية الاجتماعية المنتشرة بالمدينة، حيث تجتمع أطياف متنوعة من العائلات البرجوازية، ويتوفر مناخ ملائم للتعارف بين الغرباء، خصوصًا مع ثقته فى قدرة ابنته على الاختيار السليم، وعلى حماية نفسها من أى تجاوز أخلاقى يمكن أن تتعرض له: "هناك يمكن أن

تلتقى بالشاب المناسب، وتنشأ بينهما صلة قابلة للتطور إلى الاقتناع الكامل الذى يجعلها فى النهاية تقدمه إليك مدعومًا بإرادتها الشخصية من أجل الارتباط به". كأنه رأى نقطة ضوء تومض بخفوت داخل طريق معتم. حدّقت عيناه المنطفأتين فى وجهى بينما بعض من أمل مرتعش يبزغ منهما محاولا إعادة الحياة.

فى وقت متأخر من مساء نفس اليوم اتصل بى. بأنفاس متحجرة، ونبرة مذبوحة بالضعف والانكماش، أخبرنى بأنه تحدث فى اقتراحى مع ابنته بعد رجوعه إلى المنزل، وأنها واجهته برفض قاطع غير قابل للمراجعة متعللة بأنها لا تحب الجلوس فى مثل هذه الأماكن، وأن طبيعتها لا تتوافق مع نوعية البشر الذين يتواجدون هناك. سألته حتى أتأكد إن كان ما أقترحه عليها هو الاشتراك فى نادٍ اجتماعى، وليس ملهى ليليًّا، فأخبرنى بأن لديها فكرة -ربما تكون سطحية، ولكنها تصدقها- عن أن هذه الأماكن تخص فقط الأثرياء أصحاب الطبائع المتعالية، وعادات النميمة المقترنة بثقل الدم، لكن يبقى السبب الحقيقى والأساسى لرفضها هو عجزها التام عن التواصل مع الغرباء، والاندماج معهم أو حتى التواجد بينهم، وبرفقتها أحد تعرفه.

فى اليوم التالى لم يأت فى موعده. انتظرت قليلا ثم اتصلت به، فأخبرنى بأنه سيتأخر قليلا لأنه موجود فى الميدان ومعه ابنته، وسط من كان يسميهم بالأمس بلطجية. جاء إلى المقهى أحد أصدقائى. وجدت نفسى مندفعًا بتلقائية لأن أحكى له ما حدث، جاء صديق آخر فحكيت له أيضًا. ظللت أضحك معهما على قصة الرجل الذى فاض

به الكيل من رفض ابنته للعرسان، ورغبتها فى الاختيار بنفسها، فأخذها حيث يمكن أن تختار أى بلطجى يعجبها، أو أن يعجب بها أحدهم فيتعرف بها، ثم ييسر الله الأمور بعد ذلك. لم يكن هناك شيء يمكنه إيقاف سخريتى الحادة، وأنا أتكلم عنه. كأن لدى معه ثأرًا قديمًا لا أعرفه يحرضنى على الانتقام منه بهذه القسوة. لم يكن بالتأكيد وصفه للثوار بالبلطجية أمس هو السبب، ولا أى سبب آخر كان يمكن لعقلى الإمساك به فى تلك اللحظة. كنت أرغب فقط فى مواصلة التهكم عليه، وأن أظل أستمتع أطول وقت ممكن بضحكات صديقىّ كلما أبدعت "إفيه" جديدًا فى وصف ما فعله: "ها يقول له البلطجى: أنا يشرفنى يا عم الحاج أنط على بنتك فى الحلال"، "ها تكون شبكتها سنجتين وثلاث زجاجات مولوتوف"، "الفرح ها يبقى قعدة فى غرزة، وزفة تكاتك"، وفى الصباحية ها يقول لأبوها: "بنتك طلعت مزة جامدة يا معلم". كنت أكتم بكل قوة على أى مصدر صوت فى داخلى يحاول أن يخبرنى بأن الاستنتاج الذى توصلت إليه كان متسرعًا، وربما غير صحيح. أن الرجل ربما تراجع فى تفكيره عن وصف الثوار بالبلطجية بعدما تخلص من الانفعال الناجم عن صدمة البداية للأحداث العصيبة، خاصة أنه من أوائل الناس ممن أعرفهم الذين خرجوا يوم ٢٥ يناير. أنه قرر المشاركة فى المظاهرات الحالية كما تعوّد، بينما اصطحابه لابنته لا يعنى أكثر من أنه يريدها أن تحصل على هذه الخبرة المميزة، وأن يكون لها دور إيجابى ليس كمحاولة لعلاج اكتئابها وتخليصها من هموم وحدتها فحسب، بل لخلق إحساس بالقيمة لوجودها بعيدًا عن موضوع الزواج. لم أكن

أريد الانتباه لأى احتمال يهدد التصور الذى قمت بتثبيته فوراً كحقيقة مؤكدة، أو ينتهك اللذة التى ظلت تتمدد وتتصاعد فوق سطح طاولة المقهى كلما زاد اختراقنا للثقب الذى حفرته فى شخصية الرجل لتدميرها.

فى هذه الليلة لم يأت صديقى. أخبرنى فى الموبايل بأن الاختناق المرورى الذى تسبب فيه الازدحام الشديد والاضطرابات وانتشار قوات الأمن وغلق العديد من الطرق، منعه من الوصول إلىّ ودفعه للعودة إلى منزله. فى هذه الليلة كانت ابنتى نائمة حين رجعت من الخارج. وقفت أتمعن فى وجهها متحاشياً النظر إلى ذلك الشىء الأبيض الصغير جداً الذى بدأ يبرز داخل فمها.

***

هومر سيمبسون

دعينى أخبركِ -بمنتهى الصراحة والوضوح- بأننى كلما جلست بمفردى أشعر دائمًا بأننى أكثر مخلوقات الأرض انعزالا وجهلا، أن البشر كافة مقسّمون فى هذه اللحظة إلى مجموعات متصلة بأواصر قوية، ويؤدون أشياء مهمة للغاية تكفل لهم الإحاطة التامة بكل التفاصيل الدقيقة المتعلقة بتاريخ كل فرد منهم، بل وتاريخ العالم بأكمله. يتحدثون فى أمور وخبايا معقدة غاية فى العمق، لا يمكن أن تخطر على بال واحد مثلى، ويجيدون توحيد أفكارهم ومشاعرهم وضحكاتهم بأبعد الناس عنهم. حفل كونى صاخب ومستمر دون انقطاع يستمتع الجميع داخله، حيث الكل يعرف بعضه، بينما أنا ملقى بعيدًا فى الخارج كشىء ليس فقط مجهول الاسم والتكوين والفائدة، بل غير قابل للانتباه أصلا. مع هذا الشعور تثبت كل التأكيدات المختزنة عن السحر النبيل للوحدة واختزال الدنيا والزمن

داخل الذات المنكمشة بين أربعة جدران صامتة، تثبت أنها هراء ثقيل، وأنها أكثر طبائع الموت شراسة. تنهار تماماً المحاولات كافة للتمسك بالزهو الباطني الناجم عن قدرة العزلة الشخصية على إنتاج الإلهامات والأسئلة الماورائية غير المحدودة عبر تأمل الموجودات، والأحداث الصغيرة المنتمية إلى حيز ضئيل لا يدري أحد عنه شيئًا. أثق ساعتها في أنني لا أمتلك أي معرفة عن الحياة، ولا عن الآخرين، ولا عن نفسي.

دائمًا كنت أفكر في أنه حتى الأحمق، المغفل تمامًا كجوهرة نادرة، بوسعه أن يمتلك لحظات من الصمت الغامض. أن يراقب العالم بانتهاك خاص كأنه فريسته الخاضعة، بشغف مُتَحَدٍّ واثق في مهاراته الخبيثة على كسب كل المعارك حتى وإن خسرها. يمكن لواحد مثلي أن يكون قبراً غير قابل لتوفير أي ثقة عن ما أُغلق عليه. ألا يكون مفهوماً أو مأمون التصرف، ألا يتوقع ماذا يمكن أن ينتج عن جلوسه وحيداً بعينين متجهمتين، وملامح مرهقة تتمعن في الفرا غ بقلق ينطوي على تدبير ما. كنت أفكر في أن الأحمق هو أكثر من تناسبه هذه الحالة باعتبارها ظاهرياً سلوكًا استثنائيًا في حياته، حقيقة مفاجئة لم يتعوّدها الآخرون عنه، بل على العكس يستقر في يقينهم صورة مضادة لها بامتياز. الأشخاص المعروفون بالدهاء، وبالأساليب الملغزة والجريئة في إنجاح تجاربهم، لا يمكنهم أن يخدعوا أو يصدموا أحداً إلا بممارسة تكشف عن الجانب الأحمق في شخصياتهم، أما أنا فمع كل مرة أغلق فيها الباب على نفسي، وأفكر في الماضي، يتحول الإذلال إلى أقوى داعم لوجودي، وتتحول

كل خيباتى وإخفاقاتى الوفيرة إلى حصيلة من الانتصارات المبررة. أشعر بنفسى كفارس كلاسيكى لديه ثأر مع الحياة يفوق ما لدى الناس جميعًا، ويمكنه أن يتحسس أثر شجاعته فى الحروب غير المتكافئة ضد الغيب. مع ذلك فالخوف أقوى من كل هذا. أنا أحمق وخائف فقط.

وفقًا لكل شىء: ميراث السلطة، المعايير المزاجية، تقلبات الخيال، نأتى للآخر كأن رصيدنا من الألوهة يسمح لنا بحرية الاختيار، وبالفصل الجازم بين التلامس والصدام. لكن هذا الآخر ليس أكثر من مجرد احتمال مجبرين على العيش معه تحت غطاء أخلاقى ملتبس. على محاولة الاستيلاء عليه كى يطرد هواجس الفناء من أرواحنا. الكيان المراوغ الذى نفتش بداخله فى كل لحظة عن نسق كلى يوحد بين الهويات التى تتمزق بينها ذواتنا. الذى يؤكد على صحة موقفنا الملغز من الحياة، ويحررنا منه فى نفس الوقت. حتى ونحن فى أقصى درجات عرينا أمامه. فى قمة مستويات الإتاحة لمشيئته. حتى ونحن فى غاية الاستسلام للرغبة فى تدمير أنفسنا أو تضييعها من أجله. لا شىء اسمه تلامس يا عزيزتى. هناك صدام متنوع دائمًا. صراع على كسب الحدود الفاصلة بيننا وبين كل شخص نقابله أو نتحدث معه أو نجلس صامتين أمامه. ليس الحدود الفاصلة فحسب، بل الآماد المحتملة المتمنعة كافة التى تحيط بأجسادنا، ولا نعرف سوى أن الفوز فى لعبة القمع هو الطريقة الوحيدة الصحيحة لبلوغها.

أتصور أحيانًا أننى مت فعلا منذ زمن، وأن الموت يعنى أن تتحول دون أن تشعر إلى نسخة لا تدرى إطلاقًا بموت الأصل، ولا بما حدث

فى الدنيا بعد ذلك. أن تواصل العيش بشكل عادى جداً داخل نسخة أخرى من حياتك المألوفة حتى نهاية العالم. هل لهذا علاقة بهوسى المحموم بنيل الخلود؟ ربما، ولكن الخلود له جانب آخر عندى، وهو تقبل الحقيقة التقليدية للموت مقابل التحول بعده إلى شخصية كارتونية. فى طفولتى كنت أتمنى أن أكون "بطوط"، ثم تمنيت أن أكون "تان تان" أو "مارتان ميلان"، والآن لن أقبل سوى أن أكون "هومر سيمبسون".

قد تقولين بينكِ وبين نفسكِ الآن إن فى ما أقوله نوعاً من الترف المجانى الذى يلجأ إليه الواحد عادة للتحرر من هزائمه ومسؤولياته عنها بالاستسلام للذة الإيمان بالانسحاق والنبذ، لكن صدقينى فأنا لا ألقى باللوم على أى أحد، بل إن مشكلتى الكبرى تكمن فى عجزى عن التوقف عن محاولة الانتماء إلى العالم وكائناته. لا تحتاجين بالتأكيد إلى إخبارك بأن محاولاتى كلها فاشلة، ولكن ليس ذلك بسبب رغبة الآخرين فى قتلى، بل بسبب رغبة الدنيا فى قتل الجميع بطرق مختلفة. ما أشعر به أجده بديهياً جداً بوصفه استجابة عمياء لقانون غير مدرك، يجعلنى أبحث طوال الوقت عن الأمان الكامل داخل مكان أو زمن أو روح أخرى. الأمان الذى ربما يعنى بالنسبة لى الفهم لكل ما كان ولكل ما يجرى، وبالطبع لكل ما يمكن أن يحدث بعد ذلك، فى حين أن الحكمة التى لم تنته إقامتها فى الفضاء الخارجى لا تسمح أبداً بهذا الفهم. كل ذرة من جسد الكون ليست سوى جحيم متنكر وشاسع يحتاج دائماً إلى ثقتكِ فيه لتسهيل المضغ والهضم، ولكن على أى حال -على أساس أنك لن تجدى أحداً بلا شكوى- ما أقوله الآن أريدكِ أن تعتبريه مجرد حكى لأزمة

شخصية بسيطة أو هو نوع من كتم الصراخ بكف البوح لأن كفى لا يتحرك إلا فى حدود معينة.

نشرت بالأمس قصيدة جديدة لى على فيسبوك. بعد دقائق قليلة كتب أحد الأشخاص تعليقًا يهاجم فيه قصيدة النثر دون التطرق إلى النص نفسه. لم أرد عليه على أساس أن دفاعه عن قصيدة التفعيلة قديم جداً، ولا يستحق التعقيب. لكن ما لفت نظرى هو صورة هذا الشخص. كان وسيماً جداً على النمط الغربى، مما جعلنى أتبنى على الفور شعوراً بالتناقض بين وجهه وكلامه. ربما لم يكن هذا الشعور منطقيًا، لكنه كان بديهيًا جداً بالنسبة لى. اليوم وبينما كنت لا أزل مشغولا بهذا التناقض، ورغم أن مزيج الغضب والاستفزاز الذى ولّده تعليقه بداخلى لم يصل لدرجة أن يدفعنى لاتخاذ رد فعل ضده، فإننى وجدت نفسى أدخل إلى صفحته وأحفظ صورته على جهازى. قبل دخولكِ إلى الماسنجر، وضعت صورته على أنها صورتى لتحل محل لوحة "الأحبة" لـ"رينيه ماجريت" التى كنت أضعها كبروفايل لى. انتظرت حتى انتهيتِ من كتابة كل كلمات الفرح والإعجاب بوسامتى. كنت مستعداً لأن أرد على هذه الكلمات بقسوة، بعنف لفظى بالغ يهين أنوثتك. لمجرد أنك جميلة جداً كأحلامى التى لا يعرفها أحد، ولأنك لن تكونى قريبة منى أكثر من هذا الحد تماماً مثلها. كنت فى نهاية صفعاتى ولطماتى الكلامية سأخبرك بأن اسمى الذى يختبئ وراء " "short storyهو فلان الفلانى/ اسم الشخص الذى هاجم قصيدة النثر، وأن هذه هى صورتى لتتذكرينى دائماً. كنت أنوى أن أفعل بكما كل هذا، ولكننى وجدت نفسى أكتب لكِ كل ما سبق.

ثغرات الخلود

كان التاكسى على وشك دخول أحد الشوارع الجانبية. سألنى السائق:

– صح كده يا أستاذ ولا مخالف؟

– لا انت ماشى صح.

ابتسم ملتفتًا إلىّ التفاتة خاطفة وقال: معلش؛ أصلى مسافر من سنين طويلة ولسه جاى والدنيا اتغيرت.

– حمد لله على السلامة.

– الله يسلمك.

التفت إلى الصبى الجالس بجانبه:

– ها أوريك دلوقت يا حماده الاستوديو إللى اتصورنا فيه أنا وانت وماما لما كنت صغير. عارف الصورة إللى انت عاينها عندك؟

– أيوة. هو فين الاستوديو يا بابا؟

اختفت الابتسامة من وجه السائق، وهو يمر أمام قطعة أرض خالية إلا من أنقاض قليلة:

– كان هنا يا حماده، بس الظاهر اتهد..

ظل الولد يتطلع إلى المكان الذى أشار أبوه ناحيته. بدا كأن عينيه تحاولان تخيل الاستوديو داخل الفراغ:

– الصورة لسه عندك يا حماده؟

– أيوة يا بابا.

– حافظ عليها بقى ومتضيعهاش..

هز الولد رأسه بالموافقة..

– على جنب يا اسطى.

ظللت واقفًا أراقب الاختفاء التدريجى للتاكسى حتى غاب تمامًا عن بصرى. مشيت ويدى المرتعشة تتحسس جيبى لتتأكد من وجود الصورة فى مكانها.

***

رسم الهواء

طعم عصير القصب لم يذكرنى بك. لم يذكرنى بالمحل الذى كنت تشرب منه يوميًّا، والذى -كأشياء كثيرة- هدم منذ سنوات. تذكرت الخفة الملونة القديمة التى كانت تحرّكنى داخل العالم. الفراغ المحصن الممتد بنعومة بيضاء حول الروح من كل اتجاه بلا نهاية. تمكنت من ملامسة الستار المخملى الذى كان مخصصًا لحماية النشوة، والذى لم تأخذ حواسه فكرة بعد عن عمل المصائد، ولم تترك خيالاته وأحلامه الرائقة ثغرة للموت. استرجعت الانعدام المسالم للجاذبية، حيث لم أكن أمشى ولم أكن أرى أحدًا يمشى. فى عينىّ كان البشر والأشياء كائنات كارتونية تطير بنسب متفاوتة، وكانت السماء أكثر قربًا وكارتونية بالضرورة. تذكرت السحر الحميمى المطمئن الذى لم يُعدنى إلى شخص أو مكان أو حدث، بل إلى النقاء المنغم لإحساسى البدائى باللحظة. إلى الانكماش الذاتى المحتفل

بدفئه، المتحرر بلذة خالصة كما كان بالضبط. كأننى لم أغادر هذا الفردوس الذى سيغلق بعد ذلك للأبد. كأننى لم أواصل الحياة بعيدًا عن هذه البهجة التى كان على القلب أن يخسر عزلتها، ويفشل دائمًا فى تعويض معجزاتها البديهية. كأن الكون توقف عند تلك النقطة من الزمن، ولم يستمر فى الاندفاع نحو مشهد وقوفى أمام محل العصير.

كانت ومضة خاطفة جدًا. اختطاف عابر للنفس خارج الحاضر ثم استردادها فى غمضة عين. كأنك تفيق فجأة من غيبوبة لم تشعر بمدى عمقها إلا مع الاستيقاظ، ومعاودة السقوط فيها بهذه السرعة الحادة. انتبهت إلى أننى -رغم حبى له- لا أشرب عصير القصب إلا نادرًا. هل كنت سأحصل على هذا السفر الاستثنائى المنسّم إلى الماضى لو كنت أشرب عصير القصب يوميًّا أو على فترات متقاربة؟ ربما كنت سأتذكرك، وسأتذكر نفسى، وسأفكر فى الأيام التى مضت، ولكننى لن أفوز بذلك الصفاء النادر للرجوع إلى الوراء. لن أتمكن من استبدال الواقع كأنه لم يكن، والعيش ثانية داخل الدنيا الطفولية المندثرة بدلا منه كأنه لم يكن هناك أبدًا سواها. هنا تكمن مشكلة الذكريات الأزلية بالنسبة لى. أنها تفقد جمالها الجوهرى كلما زادت لحظات استعادتها. كلما طالت إقامتها داخل الوحشة الباطنية للسجن المسمى بالراهن، لأنه يحولها تدريجيًّا إلى جزء منه، وهذا ما يجعل النسيان التام -للأسف- العامل الأساسى للتذكر المقتضب غير العادى. التذكر الذى يجعل فراغًا ورديًّا يمر داخل صدرك، ويختفى فورًا ليتركك عاريًا بين أسنان حسرة ثقيلة معتمة. حسرة أنه

لا يمكنك سوى القتال من أجل التذكر فحسب. القتال للحصول على مجرد جزء من ثانية لا ينتمى إلى الوقت. هل لذلك علاقة بالسيارة التى انفجرت فجأة الآن أمام محل عصير، وبسلك الكهرباء الذى ترك عامود الإنارة ليسقط فوق رأسى فى نفس اللحظة. جاءت امرأة منتقبة ومعها طفل صغير. كان من الواضح أنهما زوجة، وابن صاحب المحل، وكان من الواضح من نظرات عينيها وصوتها وتفاصيل جسمها من تحت العباءة السوداء أنه رجل محظوظ. انتبهت فى نهاية كوب العصير إلى أن عينى الطفل تشبه كثيراً عينى أمه. حاولت تخيل بقية ملامحها المتوارية بالتمعن فى وجه الطفل. كان جميلا. شعرت بالرغبة فى تقبيل فمه بقوة، ولكننى تركت الكوب الفارغ، ومشيت مبتعداً. هل فهمت الآن ماذا تعنى محاولة استعادة الماضى؟

***

المـرض

كأن جسدى امتلأ فجأة عن آخره بمطر من حجارة ثقيلة، أسقطته غيوم خفية عبر فتحات فى رأسى. لكن تصديق اللحظة الذى داهمنى بهذا الشكل لم يكن يخص اللحظة نفسها. كان منتمياً إلى زمن أبعد ما يكون عنى الآن، وأكثر قرباً من أى وقت مضى. زمن لا علاقة له بطبيعة الزمن. حتى ما بدا أنه تواطؤ لعناصر مكانية حاسمة، ارتكزت عليها هذه اللحظة فى تشكيل دوافع قوية لتصديقها: الوحدة. الإضاءة الخافتة. التليفزيون الذى يظهر "أبو العلا البشرى" وهو يقرأ "دون كيخوته" قبل أن يقرر بدء رحلته الأخلاقية لتغيير الكون. لم يكن تصديق اللحظة استسلاماً لحقيقة نجمت تلقائياً عن وجود تلك العناصر بهذه الكيفية. كان اعترافاً بواقع أن السهم الذى يمر من خلالها، ومن خلال جميع أشياء العالم، يشير إلى اتجاه لا يمكن تتبعه. إلى مكان لا يمكن أن تصل

إليه خطوة أو بصر أو خيال. نوع من اليقين حينما يهبط عليك حضوره المباغت قد يشبه أيضًا الاحساس بصوت رصاصة. عدم سماعه، وإنما الشعور به. لا شك فى أنك لن تتعرف أصلا على اليد التى أطلقتها سواء كانت يدك أو يد أخرى. لن تعرف هل أطلقتها على قلبك أم على الفراغ، لكن الصدى الحاد لحكمتها سيظل يتفجر تحت الجلد بغموض.

لن أتمكن أبدًا من العيش فى كوخ. الكوخ الذى حاولت بناءه مرة بوسائد وأغطية السرير، ومرة بقطع خشبية قديمة فى بلكونة الأسرة، ومرات لا حصر لها بمبررات متغيرة للثقة فى الغيب داخل روحى. الكوخ الذى لم يكتمل بناؤه أبدًا، ليس بسبب حروب الآخرين ضد عزلتك، ولا شهوة الطرد التى تواجهك بها كل الأماكن، بقدر رغبة مبهمة داخل ذاتك فى التخلص منه، لا تنتجح الأسباب الملموسة التى يمكن العثور عليها فى تفسيرها. رغبة قد يبدو حقًّا أنها نتيجة هزائم مدركة، وأحلام يمكن التفاوض مع الدنيا بشأنها، لكنك ستشعر فى نفس الوقت بأن هذه الرغبة متجذرة فى مركز أكثر عمقًا مما يمكن تصوره. أن قوتها الحقيقية تكمن فى كونها إشارة خبيثة، ربما تعطيك انطباعًا أوليًا بأنها لا تستحق الانتباه، ثم تستوعب تدريجيًا أن هذه الإشارة ما هى إلا إلحاح يعلن عن بداهته الأزلية، دون تأسيس على تمهيد منطقى. إلحاح منفصل عن الهزائم والأحلام، وينمو دون تدخل منك أو من غيرك، حتى يصل تصاعده إلى نقطة يصبح من الحتمى فيها أن تكون فى الخارج. أن تجبر على إبقاء نفسك بعيدًا عن أى كوخ ترغب بشدة فى أن تسكنه.

في طفولتي كنت دائمًا أحسد "Fido"، كلب أبيض صغير ذو نقط سوداء متناثرة على جسده، ويسكن كوخًا جميلا مطليًّا بالأحمر والأخضر. لم يغادر "Fido" كوخه أبدًا. ظل يكتفي بالقفز لالتقاط ما يوضع له على عتبته، والعودة سريعًا إلى الداخل.

كانت لحظة أكثر عادية من هرش خصية. كانت لحظة مكررة، وكان تصديقها معتادًا بنفس درجة تكذيبها. الحياة قد تعني ألا تؤمن حتى وأنت في قمة اليأس بأنك لن تتمكن أبدًا من العيش في كوخ. الموت قد يعني بالضرورة امتزاج السعادة والألم حينما يرن جرس الباب بعد لحظات، ويدخل أي أحد كان يجب أن يشاركك بيتًا ما. ماذا عن الزمن؟ ليس أكثر من أن يكون Fido جديرًا فعلا بالحسد لأنه كان بلاستيكيًّا لم يشعر بنفسه ولا بالكوخ ولا بأصابع البشر التي تحركه. لم يشعر بالشقوق الصغيرة في جسده الضئيل التي ظلت تتزايد حتى حولته إلى حطام.

***

تخفيف العمى

يوجد أحيانًا شيء خادع في الحنين. شيء مبهم يبدو كأنه يوجّه الندم إلى مسار أكثر رحمة. دفة المركب الصغيرة التي كنت تعلقها في رقبتك مثلا، التي تذكرتها فجأة وأنا أفكر بيأس في لماذا لا يتمكن الواحد من تكوين زمنه الخاص قبل الموت! استرجعت تفاصيلها تدريجيًا كأنني أستعيد ملامح طفلة يتيمة كان عليّ رعايتها بعد موتك، لكنني تركتها تضيع. ربما جربت الثقة العمياء في قوة التصاق العالم بك التي توفر لانفصاله الحتمي عنك مرونته اللائقة. كان لديّ أيضًا اطمئنان منطقي لذاكرة جديدة سينسجها تعاقب الأيام، لن تحتاج مع ضماناتها البديهية لمساعدة كبيرة من التاريخ. يكمن التضليل في إشراك الأشياء المنسية تلقائيًا في الألم لمدى مؤقت. ألا يكون الأذى حصيلة حصرية للروح في معركتها مع الفقد، بالتزامن مع اليقين الذي يزداد رسوخًا في أعماقها بأنها لن تتمكن

أبداً من أن تعيش مرة أخرى فترة من اللحظات المتصلة التى ترغب فى تجميعها من الماضى. أقول فى نفسى إن الحياة تحضير للحظة لا تأتى أبداً ، فأتأكد من أن دفة المركب الصغيرة لم تكن فى حاجة لى، وأنها لا تشعر بأى خسارة، وأننى اليتيم الذى كان عليها رعايته، ولكنها تركته يضيع. هل كانت فى حقيقتها أمًّا متنكرة، وكان دورها أن تثبت بداخلك وهم القيادة وهى تحركك داخل مصير جاهز؟ رغم أننى لم أكن رومانسيًّا مثلك، ولم أكتب يومًا على جدار غرفتى كلمات "بين الأطلال" بجوار رسم بـ"الكوريكتور" لقلب صغير يخترقه سهم، على فكرة أنت لم ترسمه جيداً ، ولكننى أعرف أنه ينبغى علىّ استعادة دفة المركب الصغيرة الآن، ودون أى تأخير. كان على القدر أن يبقيها معك حتى النهاية، وكان عليها أن تبقى بأعلى بينما جسدك يهبط ويختفى تمامًا تحت الأرض. ربما رأت شيئًا لم يتمكن كالعادة أحد من رؤيته، وربما لديها استعداد بعد كل هذه السنوات لأن تخبرنى به وأنا قادم إليك.

***

عيد الأم

كنت أهرب من أمام التليفزيون كلما فاجأتنى "فايزة أحمد" بـ(ست الحبايب يا حبيبة) وأنا جالس معكِ. آخر الليل، وبعد أن ينام الجميع، كنت أستعيد الأغنية وأفكر فى طيبتك الشديدة وانكسارك العميق، وبالطبع فى قسوتى عليكِ. كنت أبكى فى سريرى طويلا حتى يتغلب النوم على الأغنية التى كانت تعيد نفسها تلقائيًّا فى ذهنى، وعلى النشيج المكتوم بكفى تحت الغطاء.

لم أهرب حين لمحت ابتسامتك الطفولية الخجولة تلتمع بشبق واهن للحظات بينما كنا نشاهد معا "يوسف وهبى" فى (ميرامار)، وهو يطلب من "ماريانا"، صاحبة البنسيون العجوز، أن تأتى إلى حجرته ليلا كى تدلّكه. كأننى أنظر إلى كائن من كوكب آخر؛ ظللت أراقب تجاعيد وجهك وهى تعاود انطفاءها مع غياب ضحكات "ماريانا" الشهوانية. لم أكن فى حاجة لانتظار آخر الليل ونوم

الجميع والبكاء وأنا أفكر فيكِ. كنت فى حاجة لأن تشعرى بى وأنا أقترب منكِ وأحتضنك بقوة، ثم وأنا آخذكِ من يديكِ لنخرج معًا من نافذة الحجرة التى لم تفتح أبدًا من قبل.

***

وردة

72

أمس ذهبت إلى مدرستى الابتدائية وقابلت (عم معتز) الفرّاش الذى لا يزال يعمل بها منذ أن كنت تلميذًا. طلبت منه بتوسل أن يعطينى القصص المدرسية القديمة المنزوية فى المكتبة منذ ثلاثين سنة فأعطانى وعدًا بأنه سيجهزها لى بعد أسبوع. كان سينفذ وعده لأنه كان ينظر فى وجهى جيدًا وأنا أطلبها منه، وأيضًا لأننى حرصت للغاية على أن أكرر له بأننى (ما ليش بركة إلا هو). أسبوع واحد فقط، ومثلما كان يحدث فى الماضى؛ كنت سآخذ القصص وأذهب بها إلى حجرة أبى فى المساء وأجلس على الأرض واضعًا الكاسيت الكبير ذا الأضواء الخضراء والحمراء الصغيرة بجوارى. كنت سأشغّل شرائطك القديمة التى يحتفظ بها أبى فى دولابه الواحد تلو الآخر. كنت سأقرأ الحكايات الخالية من الموت وأنا أستمع إلى (فى يوم وليلة)، و(قال إيه بيسألونى)، و(شعورى ناحيتك) وغيرها. كان

أبى سيعود من السماء، وكنا سنصغر أنا وأنتِ ثلاثين سنة. كنا سنثبت للعالم أن الثمانينيات تستطيع التغلب على الكوابيس اللاحقة كافة التى لا تزال تحاول التعتيم على خلودها .

أرأيتِ كيف أن الموت لا يمكن أن يخطئ أبداً فى اختيار لحظته؟ قرر أن يأخذكِ فى نفس اليوم. أن يحمينا من الألم الذى كان ينتظرنا بعد أسبوع واحد. حينما لا أتمكن من قراءة القصص بطريقة صحيحة وتفشلين فى الغناء كما يجب. حينما نخرج من حجرة أبى بشيخوخة أكبر لن نقدر على تصديقها.

***

لا شىء بعد الموت

75

باب البيت مفتوح، والطفل الذى جاء بى اختفى فجأة. أدفع الباب وأخطو للداخل متسائلا: لماذا لم يتكلم الطفل كلمة واحدة طوال الطريق إلى هنا؟ أقف بعد تجاوز العتبة وأتلفت حولى. أعرف أننى هنا للمرة الأولى. أنا متأكد من هذا بنفس اليقين الذى جعلنى أضع يدى فى يد الطفل الممدودة إلىّ، وأمشى معه منذ قليل. لكننى متأكد أيضًا أننى أعرف هذا البيت، بل أننى عشت فيه من قبل. هل كان الطفل يعرف هذا؟ لا يوجد شىء. مجرد حوائط وأبواب فقط. أمرر عينىّ ببطء فى الفراغ فأتذكر أننى نسيت ملامح الطفل الذى رآنى جالسًا فوق الرصيف داخل شارع مزدحم. هل نظرت فى وجهه أصلا؟ أحرّك قدمىّ أكثر محاولا ترويض إحساسى بالغربة عن المكان، فيزداد إيمانى بأن ما أحاول اكتشافه هو ما كان موجودًا قبل الفراغ. يبدو أن جسدى العجوز كان يعطى إشارة ما بأننى ما

زلت حيًّا، حيث تركنى العابرون مدة طويلة دون سؤال عن سبب جلوسى فوق الرصيف. الجثث فقط هى التى تستدعى اهتمام الآخرين، لأنهم يعرفون تمامًا أنها لا يجب أن تبقى بينهم طويلا. يبدو أيضًا أننى كنت مغمض العينين، لأننى لا أتذكر أى شىء عن الشارع، ولا عن البشر الذين كانوا يمرون أمامى قبل أن أرى الطفل يقف فى مواجهتى مبتسمًا. تذكرت الآن أنه كان مبتسمًا، وأننى نهضت وسرت معه تاركًا نفسى لقيادته باطمئنان مبهم. إذا قررت البقاء هنا هل سيكون انتقالا من مكان قديم إلى آخر جديد، أم عودة إلى مكان سبق أن تركته؟ ما زلت أحمل شغفًا كبيرًا بطريقة بعض الأشخاص فى الانتقال إلى البيوت الجديدة: يحمل الواحد منهم حقيبة صغيرة، مغلفة بالحميمية الواثقة فى أنه لا يحتاج لمواجهة العالم أكثر منها. مجرد حقيبة واحدة بها ملابس قليلة، فرشاة أسنان، "مج" شاى ملصق عليه ذكرى ما، صور فوتوغرافية قديمة، مجموعة من الأغنيات، دفتر لكتابة اليوميات، عدد محدود من الكتب لا يتجاوز أصابع اليدين تمثل الانتقاء الشخصى للحكمة اللازمة فى التعامل مع الدنيا. لم أمتلك أبدًا تلك الحقيبة الكونية التى يمكن لحياتى الانكماش بداخلها.

هل عاش الطفل هنا من قبل؟ كيف لى أن أعرف وهو غير موجود الآن حتى أسأله. هذا البياض الباهت الذى يكسو الجدران، يمكننى أن أرى وراءه زخارف حمراء منتشرة فوق خلفية من الأصفر الهادئ. أيضًا هذه الثقوب الصغيرة، أعرف أن المسامير التى سقطت منها كانت تحمل لوحات مرسومة لفتيات صغيرات. ما الذى

جاء بعجوز تالف الأعصاب مثلى إلى هنا؟ أشعر بالرعشة التى كانت تتملكنى فى شبابى على فترات ثم أصبحت لا تفارقنى مطلقًا. أشعر بها تزداد بقوة. كانت تفاجئنى دائمًا كلما استغرق تفكيرى فى الموت أو الجنون ثم تختفى بعد فترة، لكن يبدو أننى أصبحت من سنوات طويلة ميتًا ومجنونًا فعلا لأن الرعشة لم تعد تختفى. لو كنت منذ صغرى غريب الأطوار، وقضيت عمرى بأكمله هكذا دون تقديم دليل على عكس ذلك، لكان الأمر أقل شقاء. كانت ستكون هذه هى الحقيقة الوحيدة التى يعرفها الآخرون عنى، وبالتالى كان من الممكن أن يكون التجاهل أو الحذر هو طريقتهم الصحيحة فى التصرف إزاء وجودى بينهم. كان من الممكن أن يستقروا على هذه القناعة بعد تجاوز فترة التعارف التى تعنى أخذ الجرعة المنطقية من الأذى. الناس لا يوجهون السخرية والعداء ضدك إلا بقدر ما تبدى من سلوك عادى تثبت من خلاله أنك مثلهم. حينئذ تتحول تلقائيًا كل أفعالك، وكلماتك التى تبدو غير طبيعية إلى فرص ينبغى عليهم استغلالها بمهارة.

كان هناك بشر يعيشون هنا. هذه مسألة بديهية، لكن المشكلة أننى كلما حاولت تذكرهم لا أرى فى مخيلتى سوى وجوه متراصة ومنطفأة بالحزن اللائق تشرب بصمت من فناجين القهوة مع صوت قرآن. لماذا تركنى الطفل وحدى؟ لا أستطيع الآن تفادى الشعور بالريبة تجاه نواياه التى دفعته لإحضارى إلى هذا البيت ثم التخلى عنى لأواجه الغموض والنسيان والتذكر المشوش دون مساندة. إلى أى مدى يمكن أن يصل الشر المحتمل الذى يحتفظ به تجاهى؟ هل

هو مجرد طفل قرر استخدام عجوز مهمل فى لعبة ما، أم أن هناك ثأرًا قديمًا حان الوقت لتصفية حساباته بيننا؟ أريده أن يكون معى الآن ليساعدنى على تذكر البشر الذين كانت لديهم زخارف حمراء فوق الجدران المطلية بالأصفر، وكانوا يعلقون لوحات لفتيات صغيرات.

من أين يأتى صوت البيانو؟ أتحرك بالسرعة التى أقدر عليها متتبعًا الصوت، لكن لا يوجد شىء. هى الهلاوس تعاودنى إذن. هذا الصوت فى عقلى فقط، لكنه ليس مجرد صوت فحسب. لدى تأكد أيضًا بأن الأصابع التى تعزف على البيانو صغيرة جدًا. أصابع طفل. ربما ليست هلاوس، وربما الطفل الذى جاء بى يختبئ فى مكان ما. أين سيختبئ؟ لا يوجد سوى الفراغ، ولا يوجد باب مقفل عدا باب البلكونة. أفتح البلكونة بحذر. الطفل ليس هنا، ولكن كان من المفترض أن تكون فروع طويلة ومتشابكة من اللبلاب معلقة بكثافة. من أين جئت بهذا الافتراض؟ أصر على أن أوراق اللبلاب كانت غزيرة فى سقف البلكونة وفوق جدارها المتآكل، ولكننى لا أرى الآن سوى شقوق ممتدة ومتقاطعة فقط. صخب الشارع أضاع صوت البيانو من أذنى. هذا الشارع لا فرق بينه وبين الشارع الذى كنت أجلس على رصيفه حينما جاءنى الطفل. لكنّ هذا البيت القديم المتهدم أمامى ذا النوافذ الخشبية الغارقة فى الغبار سيخرج من شرفته رجل عجوز أصلع يرتدى جلبابًا. يضع نظارة ذات عدستين سميكتين، وفى يده جريدة سيجلس ليقرأها. هذا العجوز له ابنة جميلة بيضاء ذات شعر قصير فاحم، اعتادت الوقوف وحدها والنظر

للسماء بحزن كملاك فقد الاتصال بوطنه. أى مخرف يتصور أن هناك أحداً يعيش هنا!

دائماً كنت أسأل نفسى عن ما الذى ينقصنى للاستمتاع رغم المتع الكثيرة التى عشتها؟ وبالرغم من أننى عثرت ذات يوم على إجابة هذا التساؤل، فإننى واصلت حياتى حتى هذه اللحظة ناسياً فى أغلب الأوقات استخدام ما عثرت عليه، وجربته مرات معدودة بنجاح. أنت لا تحتاج فى اللحظات الممتعة سوى أن تتذكر أنك تستمتع. أن تكون لديك عين ثالثة تستكين فى مواجهتك كمرآة خفية لترصد تفاصيل المشهد الذى تسكنه وتمررها إلى روحك. عليك أن تظل تردد فى داخلك بأنك تعيش لحظة فى صالحك حتى تستغرق تماماً فى هذا اليقين. إنها الطريقة الصحيحة لأن تشاهد نفسك فى سعادة مماثلة لأى شخص آخر سبق وتمنيت أن تكون مكانه، وهو يجرب نفس المتعة عبر التليفزيون أو السينما أو الإنترنت. المتعة قد لا تحتاج إلى أن تجربها فحسب حتى تشعر بها بشكل مثالى محمى من التهديد أو الضياع. يجب أن تتذكر أن هناك شيئًا اسمه المتعة فعلا، وأن ما تفعله الآن هو وسيلتك الخاصة للاندماج مع حضورها المطلق. لكننى كنت أنسى دائمًا استدعاء هذه العين الثالثة كأنها ليست موجودة، مثلما نسيت الآن أن أعتبر نفسى مستمتعاً. هل يكمن فى وجودى داخل هذا البيت أى قدر من المتعة؟

أكاد أجزم أننى مجنون بحق لأن الشك بدأ يتملكنى بقوة فى أنه كان هناك طفل، وأننى كنت أجلس على رصيف ما. كان هذا وهماً. كيف جئت إلى هنا إذن؟ بالتأكيد أحد ما اصطحبنى إلى هذا البيت.

بالتأكيد هو الطفل الصغير. لكن من أين؟ بالطبع من الشارع لأنه لا يعرف منزلى. أين هو منزلى؟ أنا لا أتذكر شيئًا عن المكان الذى أعيش فيه الآن، ولا عن ما إذا كان هناك أحد يشاركنى الحياة فيه أم لا. أريد أن أجلس لكن لا توجد مقاعد. سأجلس على الأرض. أنا معتاد على هذا فى الشارع رغم ملابسى التى لا تتناسب أبدًا مع هذا الفعل. دائمًا كنت حريصًا على الأناقة لدرجة أننى تعوّدت الوقوف طويلا أمام المرآة لأنظر بإعجاب إلى جمال ملابسى وتناسق ألوانها المحكم. لكن فى كل مرة، وحينما تجىء لحظة الخروج، أشعر بالأسى وأنا أسأل نفسى: أى أشخاص سأقابلهم، وأى أماكن سأذهب إليها تليق بتلك الأناقة؟ أى ماض جدير بملابس جميلة كهذه؟ كأن المظهر الرائع يلزمه أن يكون محط أنظار البشر كلهم، وأن تمشى به فوق كل سنتيمتر على ظهر الكرة الأرضية. يلزمه أن تتوصل أولا إلى حل حاسم ونهائى مع ذاكرتك لا يترك فى داخلك ذرة شك واحدة بأنك خرجت من الحروب القديمة كافة منتصرًا. كنت أتعجب دومًا من زهو البعض بأناقتهم، رغم أن علاقاتهم محدودة، ولا يذهبون إلى أماكن كثيرة، كما أن ماضيهم لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يكون مرضيًا على الأقل. كنت لا أملك سوى أن أقرر بداخلى بأننى أحب أن أرتدى الملابس الجميلة، وأن أعجب بنفسى وأنا أنظر إليها فى المرآة، حتى لو جلست بها فى البيت ولم يرنى أحد. حتى لو كان الماضى بالنسبة لى هو ركام ثقيل من الحسرة والفشل، فهناك بالتأكيد وسط ذلك الركام ما يجعلنى جديرًا بأناقتى. من الذى أوجه إليه هذا الكلام؟ وما علاقته بوجودى الغريب داخل هذا البيت؟ أنت فعلا عجوز مخرف!

أسمع صوت البيانو من جديد. أغمض عينيّ بقوة. هى أصابع صغيرة فعلا تلك التى تعزف عليه، أو بالأحرى تحاول ارتجال لحن ما. لكن البيانو أيضًا صغير. أراه فى عقلى صغيرًا، ويقف على ثلاثة أرجل. لونه بنى. عدد من أصابعه معطلة. هذا يبدو واضحًا جدًّا بالنسبة لى. لكن لماذا أشعر بجسدى يستجيب إلى تلك الموسيقى بشكل غريب؟ أشعر بجسدى يخف ويصغر. يخف ويصغر حتى يصبح فى حجم طفل. أستسلم لهواء ناعم ومعطر ببرودة ما يمر وينتشر فى روحى. ربما لست عجوزًا. ربما أنا الطفل الصغير الذى تركه الرجل العجوز وحده فوق الرصيف داخل شارع مزدحم. الرجل العجوز الذى ذهب بعيدًا جدًّا.

***

حكاية الرجل الذى كتب قصة قصيرة

86

يحكى أن رجلا قرر أن ينسى الماضى تماماً. أن يمحو من ذاكرته محتوياتها الجميلة والسيئة وغير المفهومة كافة ويبدأ من جديد. كان محظوظًا بشكل ما لأن حياته كانت مهيأة لمساعدته على التخلص منها: أبواه ميتان، وله أخ واحد فقط مشغول بعمله وأسرته، أما أصدقاؤه فكانوا قليلين جدًا. بالنسبة إلى زوجته فقد عاش معها فترة قصيرة ولم ينجبا، فكان من السهل أن يطلّقها. ترك عمله، وحزم أمتعته، ورحل إلى قرية بعيدة تطل على البحر. اشترى بيتًا وعاش فيه بمفرده مدة طويلة نجح خلالها فى تكوين علاقات جيدة بأهل القرية، كما نجح فى الحصول على عمل جديد بها. كان سعيداً للغاية بما فعل، وكانت سعادته تزداد كلما نجح فى مقاومة ذكرياته وإبعادها تمامًا عن ذهنه فى لحظات صحوها. كانت براعته فى الاندماج بعالمه الجديد توفر له حصانة كاملة ضد الحنين والندم، مما

جعل الذكريات تتوقف نهائيًا عن الصحو. حينما أراد أن يتزوج اختار فتاة جميلة وطيبة كأهلها، فعاشت معه حياة هادئة وأنجبت له أطفالا يشبهونه بدرجة كبيرة.

مرت عليه السنوات بشكل مثالى فى كل شيء: أسرته، وعمله، وأصدقائه من أهل القرية، وشعوره الدائم بالسلام والرضا تجاه نفسه وحياته. كبر أولاده وتزوجوا فى قرى أخرى، فبقى هو وزوجته فى بيتهما الجميل وحدهما. حينما شعر بأنه أصبح عجوزًا بما يكفى لدنو الأجل، قرر أن يكتب قصة قصيرة عن حياته. ليست عن حكايته منذ مجيئه إلى القرية فحسب، بل عن الماضى الذى سبقها أيضًا. بدأ يكتب قصته القصيرة، وكان من الغريب حقًّا أن ينجح بهذه البساطة فى استعادة الذكريات التى منعها بكفاءة خارقة من اقتحام حياته طوال السنوات الطويلة التى عاشها فى القرية، لكنه أدرك أن ما نجح فيه ليس قتل الماضى، بل دفنه فى حفرة بعيدة وعميقة جدًّا. عرف أنه حينما سيعود لاستخراجه مرة أخرى سيجده لا يزال حيًّا مهما طال الوقت. لكن هذا لم يسبب له أى مشكلة، لأنه كان يعرف أن استرجاع الذكريات الآن لم يعد مؤثرًا أو يمثل أى تهديد لسعادته الحالية. بعد أن انتهى من الكتابة جلس يفكر فى كيفية نشر قصته. لم يكن يهمه أن يقرأها أحد سوى سكان القرية فحسب، فاستبعد فكرة نشرها في جريدة أو مجلة، وقرر توزيعها عليهم بيده. اشترى ماكينة تصوير، وأعد نسخًا كثيرة ثم وقف فى الشارع ليعطى كل عابر نسخة. فى البداية استغرب الناس جدًّا من هذا الفعل الذى اعتبروه غير لائق برجل عجوز، أمضى حياته بينهم متحليًا برجاحة العقل والاتزان النفسى، لكن استغرابهم تضاعف كثيرًا

حينما اكتشفوا عند قراءة القصة القصيرة أنه لم يتعمد عدم الالتزام بقواعد النحو أو عدم وضع علامات الترقيم فحسب، بل إن الجمل نفسها كانت غير مفهومة. كانت قصته عبارة عن كلمات ليس بينها رابط واضح، ومتراصة بجوار بعضها فحسب. حينما حاولوا أن يستفهموا منه عن معنى كتابته، ولماذا يوزعها عليهم بهذه الطريقة، رفض تماماً أن يعطيهم أى إجابة، وواصل التوزيع حتى انتهت جميع النسخ التى بحوزته. تحدثوا مع زوجته، واتصلوا بأبنائه، فاكتشفوا أنهم لم يفهموا أيضاً ما كُتب فى هذه القصة، فضلا عن أنهم لم ينجحوا فى الحصول على أى توضيح منه. قرر رجال القرية الاجتماع لمناقشة ما حدث، وتركوا المجال فى البداية للمشهود لهم بالثقافة، والمعروفين بقراءة الكتب الكثيرة كى يحاولوا تحليل القصة، فاختلفوا فى تأويلها، ولم يتفقوا على نتائج محددة. بقية الرجال رأى البعض منهم أن الرجل ذهب عقله بعدما كبر فى السن، لكن البعض الآخر أصر على أنه لا يزال عاقلا بدليل أنه لم يصدر منه أى فعل أو كلمة تدل على ذهاب عقله بخلاف ما حدث اليوم. ظلوا يتباحثون من أجل الوصول إلى التصرف الصحيح الذى ينبغى أن يقوموا به تجاه هذه القصة. رأى البعض أن يتم رميها فى القمامة لإنهاء الموضوع ونسيانه، فى حين أصر البعض الآخر على ضرورة معرفة حقيقة ما فيها قبل التخلص منها، لأنه من الوارد أن يكرر الرجل كتابة كهذه، ويقوم بتوزيع أوراقها عليهم ثانية. اتفقوا أخيراً على ذهاب وفد منهم إلى بيته للتفاهم معه، ومحاولة إقناعه بتفسير ما كتبه، لكنهم حينما دخلوا منزله، واستقبلهم بترحاب شديد ومودة معتادة، كرر رفضه أن يتحدث فى الموضوع تماماً. بعد خروجهم من

عنده خائبى الأمل، قرروا أن يستدعوا طبيبًا نفسيًا للكشف عليه كى يتأكدوا من سلامة قواه العقلية. جاء الطبيب إليه، فاستقبله أحسن استقبال، وسمح له -بمنتهى الكرم- أن يكشف عليه، فوجده الطبيب أعقل منه، ولكن خاب أمله هو الآخر حينما رفض الرجل التكلم عن القصة القصيرة التى قام بتوزيعها. لم يجدوا حلا سوى أن يذهبوا إلى شيخ القرية ليعرضوا عليه إحدى النسخ، فتعجب الشيخ من جهلهم، ومن سذاجتهم، وسألهم بسخرية كيف لم يعرفوا حتى الآن أن هذا الرجل ليس إلا ساحرًا شريرًا، وأن صفاته الطيبة وأخلاقه الحميدة التى عاش بها طوال حياته بينهم، لم تكن سوى ستار سميك يحجب به حقيقته! بدأ الجميع على الفور فى استرجاع جميع الأحداث السيئة، والمصائب التى شهدتها القرية، والتى ظلت أسبابها تمثل لغزًا كبيرًا حتى الآن: احتراق منازل. اختفاء أشخاص. عجز جنسى. عنوسة فتيات جميلات. عقم. سرقات. انهيار بيوت. غرق أطفال. إصابات بالجنون دون تمهيد. حوادث سيارات. عاهات وأمراض نادرة أو مستعصية ليس لها علاج. رؤية أشباح. فقدان وظائف. سماع أصوات غريبة ومفزعة مجهولة المصدر خاصة فى الليل. فشل فى التعليم. موت مفاجئ لمن كانوا فى أتم صحة وعافية.

قرروا أن هذا الرجل بالتأكيد هو المسؤول عن وقوع هذه الحوادث، حتى تلك التى شهدوها قبل مجيئه إلى القرية. تذكروا أنه حضر إليهم فجاة فى شبابه، ولا يعرفون شيئًا عن حياته قبل ذلك. بعد مناقشات طويلة استقروا على أن الحل المناسب هو أن يطلبوا منه وزوجته ترك القرية، والذهاب للعيش عند أحد أبنائه. رفض

الرجل بابتسامة خفيفة هذا الطلب، لكن زوجته وافقت وتركت البيت، فترك ذلك فى نفسه مزيجًا غاية فى الانسجام من الفرح والحزن. كان هذا هو شعوره أيضًا حينما قرر أبناؤه مقاطعته اعتراضًا منهم على كتابته، وتوزيعه هذه الأوراق. هدده سكان القرية بطرده بالقوة، وأعطوه مهلة محددة، لكنه ظل مقيمًا فى بيته حتى انتهت المدة. حينما تجمعوا للتوجه إليه، خطر فى بالهم حقيقة أن طرده لن يفيد لأنه من الممكن أن يعود إلى القرية مرة أخرى، أو ينتقم منهم بسحره الشرير من أى مكان آخر سوف ينتقل إليه. عرفوا أن قتله هو الحل الوحيد، وحتى لا يتورط أى منهم بشكل محدد، قرروا حرق منزله وهو بالداخل. ظلت النيران تواصل الاشتعال وتلتهم البيت، ورغم أنه كان يرى أمامه أكثر من طريق للفرار، فإنه ظل جالسًا مكانه دون أن يدرك هل كان ذلك يرجع إلى رغبة أم عجز! بعد أن انتهت النيران من التهامه، كان من الطبيعى أن يرفضوا دفن جثته المتفحمة فى مقابرهم، وفى نفس الوقت رفضوا تسليمها لأسرته لأنهم كانوا مقتنعين أشد الاقتناع بأنه لا ينبغى لأى بقعة على وجه الأرض أن يدفن فيها رجل كهذا، وعلى هذا الأساس ألقوا بجثته فى البحر.

لم يعد الرجل موجودًا، كما أن أسرته لم تدخل القرية مرة أخرى، والبيت لم يعد له أى أثر. ورغم أن كل واحد تخلص من القصة القصيرة التى لديه، فإنه حتى الآن لا تزال نسخ منها تنزل بغزارة من السماء فجأة على رؤوس أهل القرية وهم سائرون فى شوارعها، فعرفوا أنها لعنة ستظل تلاحقهم حتى نهاية الحياة.

***

نهاية العالم

كان اليوم هو الأخير للعالم بحسب توقعات بعض البشر. قبل منتصف الليل بقليل، وطمعًا في تعليقات إعجاب و(لايكات) كثيرة، فتحت الموبايل، وكتبت في صفحتي على فيسبوك أنني أبحث عن حالة حميمية كحالة (هتشكوك) في فيلم (الطيور)، وأن آخذ شخصية السكران الذي ظل يردد طوال الوقت بنبرات مختلفة: إنها نهاية العالم.

أقول في نفسي إن (نهاية العالم ليست غدًا)، فأتذكر مسلسل الثمانينيات الذي كنت أشاهده في طفولتي، والذي فشلت حتى الآن في العثور على نسخة منه. لا أعرف لماذا لا أصدق أي نبوءات تؤكد على ميعاد محدد لنهاية العالم، رغم أن تفكيري لا يستبعد بشكل مطلق احتمال حدوث أي شيء في أي وقت بصرف النظر عن التصورات الذاتية التي قد تصل إلى حد اليقين. لكن يبدو أن الأمر

يتجاوز التصديق أو عدمه، ويظل فى حقيقته رجاء أو توسلا مخبوءًا لا تظهر إشاراته بوضوح لأن تستمر الحياة. ألا تنتهى قبل أن نصل لحل ودى مع الغيب!

كانت زوجتى تغنى لابنتى أغنية أطفال حتى تنام لكن دون جدوى. أحضرت كيس المكعبات وجلست بجانبها وتركتها تراقبنى وأنا أكوّن سفينة صغيرة كالتى تعلمت صنعها فى صغرى. انتظرت البنت حتى اكتمل بناؤها فأمسكت بها، وبدأت تكتشفها بشغف. فكرت فى أنه من الجميل أن تتخيل نفسها داخل السفينة تصارع طوفانًا ما ثم تنجو منه برفقة أحبائها كما يحدث فى الحكايات والأساطير القديمة. على أى حال ربما ستنجح سنواتها القادمة فى زرع هذا الإيمان بالخيال داخلها. بعد قليل استسلمت للنوم، فكانت فرصة لمضاجعة مكتومة الصوت مع زوجتى قبل أن نغمض عيوننا المثقلة بالنعاس.

بعد ساعة واحدة كان صوت الارتطام عاليًا رغم أن جسد طفلتى كان خفيفًا. ربما السقوط من الطابق السابع هو الذى سبّب هذا الصوت الذى أيقظ الشارع والعمارة. نهضت زوجتى من السرير مفزوعة، وجرت نحو الشرفة حيث كنت لا أزال واقفًا، ويداى اللتان كنت أحمل بهما ابنتى ممدودتان فى الهواء. بالطبع لم ينته العالم فى هذا اليوم.

***

حاسة الانتقام

لا يزال يشعر بلذة كبيرة كلما رأى بنتًا جميلة تشير إلى تاكسي. يراقبها وهي تقف في الشارع برقتها المتناهية وبكامل أناقتها ونظافتها لتمد أناملها البيضاء الصغيرة الناعمة إلى رجل غريب عنها كي يقف لها بسيارته، ثم تحني رأسها كي تخبره بالمكان الذي تريد أن يوصلها إليه. ما زالت متعته تزداد كلما زادت صلابة الكبرياء الذي يغلف جمالها بثقة، وكلما زادت ملامح السائق قبحًا وشقاء. بالطبع تبلغ لذته أقصى مدى حينما يرفض الجالس خلف عجلة القيادة أن تركب البنت الجميلة معه ويتركها مواصلا طريقه. لو سمحت الظروف بالاستمرار في مراقبتها، فإن سروره يتضاعف كلما استمر وقوفها المذل فترة طويلة، وتحول طلبها لكل سائق يمر عليها إلى ما يشبه التوسل لأن تستقل سيارته.

وهو وحده. ما زال يستعيد فى ذهنه أحيانًا أى بنت رآها أو يعرفها وتمتلك هذه النوعية من الجمال، ويحاول أن يتخيلها وهى تتبرز بينما تعانى من الإمساك. دائمًا يفرحه هذا التخيل كثيراً، لدرجة أنه حسد بشدة أحد أصدقائه بعدما عرف أنه سأل إحدى زميلاته الجميلات جدًّا فى الجامعة بوضوح ساخر عن الذى ينزل منها فى الحمام: كريم كراميل أم خراء!

حينما أحب بنتًا لديها كل هذه المواصفات وأحبته، كان يستمتع أيضًا بمراقبتها وهى توقف التاكسى، وأيضًا بتخيلها وهى تتبرز بصعوبة، لكن أضيفت إلى حياته متعة جديدة حينما يتصور شجاراً يحدث بينهما وهما متزوجان، وكيف سيرميها على السلالم بملابس البيت، ومعها علبة مكياجها فقط. لا يزال يضحك فى أعماقه من هذا التصور، رغم أنه ظل طوال سنوات ارتباطهما قبل الزواج وطوال سنوات زواجهما غير قادر على تصديق كيف أحبته، رغم الكلام المتلجلج المثير للتهكم والشفقة الذى كان يقوله لها، ورغم الأنف الكبير الذى ورثه عن أبيه. لا يعرف كيف قبلت العيش معه، رغم الصورة التى لا تفارقه أبداً للمرأة العجوز ضعيفة النظر التى لم تمنعها نظارتها ذات العدستين السميكتين من الوقوع فى الشارع أكثر من مرة، وهى تخرج وتعود إلى بيت الأشباح.

***

إعادة التدوير

102

لأنـهـا أرادت أن تـرضـيه، وافـقت أن يـصـورهـا وهـى تـتـظـر معصوبة العينين ويداها مقيدتان وراء ظهرها إلى لوحة "رمبرانت" (هـندريكا تـخوض ماء الجدول). وافقت أيضًا على أن يصـورها وهى ترتدى السواد، وفى يدها باقة زهور، بينما تنظر من النافذة إلى البيوت والشوارع. سمى الصورة الأولى "خطيئة رمبرانت"، والثانية "مقبرة جماعية". كان يعرف أنها لا تشعر بأى خطيئة، ولا ترى أى مقابر، وأن كل ما أفهمته لها السنوات أنه عدو لأحلامها. السنوات جعلته أيضًا ينسى أنه التقط لها هاتين الصورتين، ولم يتذكرهما إلا حين جاءت ابنتهما إلى الحياة، وابتسمت فى وجهه للمرة الأولى.

***

جامع القمامة

عرف من القصاصات أنهما كانا حبيبين، وأن أحدهما مزق ذكرياتهما ورماها فى الشارع. جمع أجزاء الصور المتناثرة، وعاد بها إلى بيته. أخرج ألبومًا قديمًا ليضيف إلى متحف الوجوه والأجساد المقطّعة غنيمته الجديدة. كان حريصًا على ألا يتلفت حوله كى لا يتأكد أنه فعلا بلا أحد. راح يهز رأسه بثقة، وهو يقلب صفحات الألبوم، مستدعيًا الابتسامة التى يدخرها دائمًا لهذه اللحظة.

***

108

فلسفة الخطاب

غاب مدرس التربية الرياضية فترة طويلة، وظلت حجرة الألعاب مغلقة. كانوا يخرجون التلاميذ إلى الفناء للعب كلما فشلوا فى تدبير حصة بديلة. تعوّد أحد المتطوعين بالفصل على إحضار كرتين فى هذا اليوم من كل أسبوع؛ كرة للمباراة التى سيلعبها الذين يجيدون كرة القدم، وهم الأغلبية، وكرة أخرى للولد ابن معلمة المدرسة الذى لا يجيد اللعب، ولكنه لا بد من أن يلعب حتى لا يخبر أمه بأنهم رفضوا إشراكه فتعاقبهم. كان يأخذ الكرة إلى زاوية صغيرة فى الفناء ويلعب وحده حيث لم يكن التلاميذ القليلون الذين لا يجيدون اللعب يحبون كرة القدم أصلا. مرت سنوات طويلة جداً. لا يزال الولد كلما عاد إلى بيته أو غادر غرفة شات، كلما تحدث حتى فى خياله مع أى أحد. يخرج الكرة من الدولاب ويتوجه بها ناحية أحد أركان الحجرة.

112

تاريخ الأدب

إلى أشرف أبو زينة

113

ما الذى جعلك تسترجع كل هذا فجأة؟ الأوقات الكثيرة التى أمضيتها فى تفحص الصور الجماعية لكتّاب على فيسبوك، والتى عادوا بها من مؤتمرات أدبية فى مدن مختلفة حتى تضع من خلال نظراتهم وابتساماتهم وطريقة وقوفهم بجوار بعضهم، تصوراً عن من يمكن أن يكون قد نام مع من أثناء أيام كل مؤتمر. لماذا تذكرت تصفحك أحيانًا لأسماء أصدقائك على الموبايل، والتوقف أمام كل اسم لاستدعاء كل ما يمكن أن تطاله ذاكرتك من الإهانات التى تعرّض لها فى حياته، محاولا التخفيف من ثقل الخجل والندم عن ماضيك. لماذا تذكرت الصحفى الذى سارعت بالتحدث معه على الشات لتؤكد اعتزازك بصداقته، بعد أن هاجم بوساخة أحد أبحاثك المنشورة على الإنترنت لأنك -رغم سطحيته وسخافته- خشيت من السلطة التى يمتلكها كموظف فى مطبوعة ثقافية معروفة، ولديه

"معرصين" كثيرون على استعداد دائم للتطبيل والتزمير له، وخوض معارك نيابة عنه، الأمر الذى قد يمثل لك تهديداً بالنبذ من "حياة أدبية" محكومة بالضجيج الاستعراضى لأمثاله، أنت مضطر لها؛ لا لشىء سوى لأنها قد تدخر من أجلك قارئًا محتملا. لماذا تذكرت صديقك الذى تشتمه دائمًا فى سرك كلما قال لك إنك أستاذه، وإنه يتعلم منك! رغم شعورك بالزهو، فإنك مجبر على عدم تصديقه. لماذا تذكرت أحد أصدقائك الذى سألك فجأة أمام الآخرين ليحرجك بخبث حينما كنت تشتم "عيال القاهرة الـ" عن لماذا تدعوهم لقراءة نصوصك على فيسبوك ما داموا كذلك، وردك عليه بأنك بهذه الطريقة ترسل لكل واحد منهم رسالة تقول له فيها "اتعلم يا ــــ"، بينما كانت الرسالة الحقيقية التى كنت تفكر فيها وقتها "أرجوكم الانتباه، فأنا أيضاً موجود"!

ما الذى جعلك تسترجع كل هذا فجأة؟ كل ما حدث أن رجلا يرتدى ملابس مهترئة دخل المقهى الآن، واقترب منك بابتسامة شاحبة، وشعر منكوش، وعينين تائهتين، ثم أخرج بتردد ورقة من ضمن أوراق كثيرة يحملها فى يده، وقدمها إليك: "شعر وتصوير سينمائى من تأليفى بجنيه، وممكن بنص".

***

العــود الأبدى

إلى مجدى رزق

118

فعلت كل ما هو ضرورى. وقفت فى منتصف حجرتك، وشغّلت Honey Honey، لكن البوستر الكبير لفريق ABBA لم يخرج من الحائط فى نفس المكان الذى كان ثابتًا عليه، ولا فى أى مكان آخر. رفعت ذراعىّ فى الهواء فظلا كما هما طويلين وثقيلين أكثر من اللازم. الأسوأ أن جسدى أيضًا لم يصغر، ومع ذلك انتظرت تجاوزك عن عدم حدوث تلك التغيرات، لتظهر فجأة من هذا الفراغ الصامت تمامًا، وتأخذنى من يدىّ، ونندفع ضاحكين نحو الصالة كى نرقص على الأغنية كما تعوّدنا. لكنك لم تفعل. "بابا" ليس هنا، وكذلك "ماما"، أما أختنا فأنا واثق من أنها لن تشتكى هذه المرة، ولن تصيح فينا وتتهمنا بالجنون. ما الذى يمنعك إذن؟

صحيح أن البنت البيضاء الجميلة ذات الركبتين الممتلئتين لم تعد تقف فى الشرفة المقابلة حتى تراك لأنها تركت بيتها منذ زمن لتعطى

رجلا غيرك فى منزل آخر ما هو أكثر من ركبتيها. صحيح أن البيت نفسه لم يعد موجوداً، وأن ما تبقى منه صورة فوتوغرافية منشورة على مدونتى، وقطع قليلة من الطوب المفتت لا أعرف هل تعمد من هدموا البيت تركها إلى الآن أم أنها هى التى أجبرتهم على البقاء. لكن على أى حال لماذا لا تعتبر هذا -من أجلى على الأقل- نوعًا من الهزائم العادية التى ينبغى على الحياة أن تستمر بعدها بأى شكل، وألا تدفعنا آلامها إلى الاختفاء التام مثلما قررت أن تفعل كل هذه المدة؟

طبعًا لا يزال فى العالم الكثير من الأولاد "تربية شوارع" الذين يستغلون حاجة ولد "تربية بيوت" إلى صداقتهم حتى يأخذ كل واحد منهم بواسطته فكرة، ولو عابرة، عن مدى فحولته.

لكنه مجرد ماض فحسب. أنت لم تعد صغيراً، كما أنك جربت الشوارع بما يفوق خبرة أكثر البشر انتماءً لها.

أشياؤك التى احتفظت بها لفترة، والتى ضاعت لأسباب لا أريد أن أتذكرها الآن، تمكنت من استعادتها أخيراً: ساعة يدك الرقمية التى كنت تشعر دائمًا أنها متصلة بقنبلة لامرئية زرعها الزمن فى جسدك قبل اختبائه، دون أن يعرّفك موعد انفجارها وجدتها محشورة وراء المكتبة، وتحديداً وراء رف الكتب التاريخية. قصص المغامرون الخمسة، والمغامرون الثلاثة، والشياطين الـ١٢ عثرت على بعض منها عند باعة الجرائد، والباقى أواصل البحث عنه وتحميله من الإنترنت، أما صور عاهرات الثمانينيات اللاتى كنت تصورهن عرايا بالكاميرا الفورية التى أحضرها أبوك من السعودية، فللأسف

لم أستطع العثور عليها، وأغلب الظن أننى أهملتها نتيجة استنفاد غرضها السرى، بعد توفر بدائل أكثر واقعية جعلتنى لم أعد فى حاجة لأخذها معى إلى الحمام. لكن صدقنى فأنا ما زلت أتذكرهن، وما زلت أتعرّف عليهن بوضوح تام داخل الأفلام التى تعطيها مواقع البورنو كنتائج كلما كتبت كلمة Classic داخل خانة البحث. الذى لم أفقده أبداً، وما زلت أحتفظ به بحرص بالغ هو الدفتر الصغير الذى كنت تكتب فيه خواطرك عن الله والوحدة والحياة والموت وركبتى البنت البيضاء الجميلة.

فندق "أبو شامة" لم يعد موجوداً، ولكن لا تنزعج فـ"مارشال المحطة" و"راندوبلو" و"القهوة الأهلية" و"فندق مكة" ما زالوا فى أماكنهم: هل تتذكر حفلة رأس السنة فى "مارشال المحطة"، والتى عدت منها بصورة مع "علاء عبد الخالق"؟ الصورة وضعت فى برواز صغير، لكن "علاء عبد الخالق" لم يعد موجوداً بها لأن أختك انتزعته بالمقص خارج المشهد لتتركك وحدك برفقة ذراع "علاء" المقطوع الذى يحيط بكتفيك. هل انتبهت أختك إلى أنها أيضًا مزقت الكلام الذى كتبته بخط يدك على ظهر الصورة: (علاء عبد الخالق.. صوت الحب.. مارشال المحطة.. حفل رأس السنة.. ١٩٨٨)، فلم يعد باقيًا منه سوى: (علاء عبـ.. صوت الحـ.. مارشا.. حفل رأس.. ٨٨)؟ ربما هى لا تعرف "علاء عبد الخالق"، ولا يعنيها "مارشال المحطة"، ولا يمثل لها "١٩٨٨" قيمة ما، ولهذا أرادت الاحتفاظ بك وفقًا لرغبتها، معزولا عن سعادة اللحظة القديمة التى لا تخصها، حيث يقتضى الخلود فى بعض الأحيان فصل الجسد عن ذاكرته باعتبارهما شيئين مختلفين.

بالمناسبة "باولو كيرياكيدس" أغلق محل الخمور. كنت جالساً معه منذ فترة، وحزنت لأنه لم يتذكرك، رغم أنني رأيت وجهًا يشبهك تمامًا في لوحة من اللوحات الكثيرة التي تملأ بيته. هل كنت تعرف أنه رسام، وأنه لن يرجع إلى "اليونان"، وأنه يريد أن يموت في "المنصورة"؟ هل تصدق أنني حينما سألته عن اللوحة، وعن هذا الوجه الذي يشبهك، أخبرني بأنه تصوره الشخصي لملامح المسيح؟ لم يكن في اللوحة سوى هذا الوجه، وحوله الفراغ الذي لا يمكنه أن يشبه فراغًا آخر إلا هذا الذي في حجرتك. أنا أعرف أنك هنا، وأنك ربما تكتم ضحكاتك في هذه اللحظة بإجادة تامة، وأنت تراقبني من مكانك السري مثلما تعوّدت أن تفعل كلما دبرت لي شركًا كوميديًّا. على فكرة؛ أنت ما زلت شريرًا جدًّا.

***

بورخيس

124

أعد لكتابة رواية يدور جزء كبير من أحداثها فى سبعينيات وثمانينيات القرن الماضى بـ(المنصورة). أدخل صالة فندق (مكة) لأنتظر موزع مخدرات سابقًا سيحكى لى ما أحتاج معرفته من تفاصيل بعض الأماكن والشخصيات والأحداث فى تلك الفترة. جلست وطلبت زجاجة بيرة، وبعد إشعال سيجارة انتبهت إلى موسيقى Hotel California لـ The Eagles، وإلى الشاب الجالس على الطاولة المقابلة لى. كان منهمكًا فى كتابة أوراق فلوسكاب كثيرة داخل ملف ملصق على غلافه مقال لـ(مى التلمسانى) منتزع من أحد أعداد مجلة (الفن السابع) عن فيلم (تفكيك هارى) لـ(وودى آلن). دون تردد قلت له:

– عادى جداً ألا يحبك بعض الناس. أن يكرهوك أو لا يرتاحوا إليك لأى سبب: شخصيتك، أفكارك، طريقتك فى الكلام، أو حتى

شكلك. وهذا لا يعنى وجود أخطاء لديك أو أن عندهم مشكلة. أنت لا تحب بعض الناس لأسباب كهذه، لذا فليس عليك سوى أن تتذكر دائماً بأن الآخرين لديهم نفس هذا الحق الذى تمتلكه.

رفع رأسه إلىّ وابتسم ثم قال وعيناه فيهما ادعاء القدرة على مواجهة الطيش المفاجئ للغرباء:

– هذا على أساس أنك تريد أن توّفر علىّ شقاء كل هذه السنوات التى بيننا! كأنك لا تعرف أن حياتى ليست سوى قرارات غير متوقعة بفعل صدف مجنونة تجعل الأشياء تحدث فى مواعيد مناسبة لطبيعة لا يمكن تغييرها أو حتى التأثير فيها. أنت تعرف تماماً أننى فى مرحلة الهوس بمحاولة الحصول على هيبة دائمة لصورتى أمام الآخرين، وتعرف أيضاً أن العزاء يكمن فقط فى تذكر كتاب اليوميات الذى لم تنجح فى كتابته أنت حتى الآن لتبرير ومعالجة الفشل فى هذا بالكتابة ثم توزيع ذلك الكتاب على كل من عرفتهم فى حياتك ومن لم تعرفهم لتعطيهم درسك التأديبى الكامل والنهائى. بما أنك متأكد من أننى لن أتجاوز هذه المرحلة إلا فى الموعد الذى تدركه جيداً مهما حدث، فكلامك فى حقيقته محاولة للتفاوض مع القلق الذى تشعر به نتيجة ظهور هذه الحكمة التى قلتها لى الآن فى داخلك فجأة واقتناعك الفورى بها. المشكلة أنك وجدت نفسك متورطاً فى الحالة التى تحاربها دائما: الشخص الذى عثر ببساطة على يقين لم يجد أى صعوبة فى تثبيت صحته، وللدرجة التى جعلتك تتساءل باستغراب هائل كيف لم تنتبه لهذا القانون البسيط والبديهى من قبل! أنت مرتبك بسبب الارتياح الذهنى الذى أصابك بعد اكتشاف

حل سهل وواضح لعذاب شرس ظل يلازم ماضيك. لكن أخبرني بصراحة: هل أنت بحاجة فعلا لأن أطمئنك بأن الحلول التى تبدو راسخة -حتى لو بدت لك مجهولة الآن- ليست سوى غنائم يائسة ومخادعة للكتابة فى حرب غير قابلة لأن يحسم فيها أى شىء!

لفترة تمنيت ألا يشعر بمدى طولها، ظللت أحدق فى وجهه صامتًا، محاولا بقدر ما أستطيع إخفاء دهشتى وارتباكى من معرفته للمستقبل التى واجه بها معرفتى للماضى. كنت متأكدًا من أن ادعاءه القدرة على التعامل مع المفاجآت كان كاذبًا، ولكن يبدو أن المسافة الذهنية التى تصورتها قائمة بينى وبينه لم تكن بالحدة التى تظهر عليها؛ الأمر الذى لم يجعلنى غريبًا عنه. كأن تلك السنوات الطويلة جعلتنا أكثر اقترابًا رغم قوة الانفصال التى لا أشك أنه يشعر بها تمامًا مثلى. ابتسمت وقررت الاستمرار فى الكشف عن ما ينتظره بحرص على انتقاء موضوع لا يخلق خلافًا بيننا، وفى نفس الوقت لا تؤثر معرفته له على أعصابى التالفة فى تلك اللحظة الغريبة:

– عموما هناك أشياء لن تتغير. ستظل مثلا تحب كتاب (الصوت المنفرد) لـ(فرانك أوكونور)، بل وسيزيد حبك له، وستظل تعيد قراءته دائمًا، خاصة فى أوقات الضيق والإحباط المرتبطة بعملك، وحتى إذا مر وقت طويل دون أن تفتحه ستستمر فى النظر إلى غلافه من حين لآخر وهو ساكن فى مكتبتك. سيكون اكتشافك لـ(شوبنهاور) حدثًا هامًا للغاية فى حياتك، وسيفوق مقابلتك لـ(نيتشه)، و(كيركيجارد). سترى أن ذلك سيكون مقدمة طبيعية للتوافق مع (فوكو)، (بارت)، (دريدا)، (ليوتار)، (رورتى)، وبشكل تلقائى سيكون لديك فى كتاباتك

النقدية تصور شخصى ستعلق عليه لافتة مؤقتة وغير معلنة مكتوب عليها (مفاتيح التفكيك)، وستظل تؤجل شرحه نظريًا إلى حين الانتهاء من حصيلة معقولة من التطبيق على الأعمال الأدبية المختلفة حتى تقرأ بالصدفة -ذات يوم- مقالا بموقع (جدلية) عن كتاب (بعد ما بعد الحداثة: مقالات فى الأدائية وتطبيقات فى السرد والسينما والفن) لـ(راؤول ايشلمان)، ترجمة (أمانى أبو رحمة) لتجد شرحًا لأفكارك فتشعر بالسعادة لعثورك على ما يدعم ذلك التصور، ويمثل مرجعًا هامًا حينما يأتى وقت الكتابة النظرية.

أطلق الشاب ضحكة قوية بدت أقرب إلى الشخرة فشعرت بسخونة المهانة تحرق وجهى، لكننى لم أرغب فى خسارة نتيجة هذا اللقاء برد فعل غاضب. تظاهرت -رغم رعشة جسدى العنيفة- بالهدوء، مقررًا تصدير انطباع مختلف يدعى أننى أحاول خداعه فعلا ما دامت قدرته وضحت على تعريتى بهذا الشكل. نظرت إليه بخبث تمثيلى لأبلغه دون كلمة واحدة بأنه على حق، وأن كل ما أخبره به ليس إلا كوميديا مقصودة. كانت مهمتى الآن مركزة على كيفية إفهامه بأن تلك الكوميديا ليس لها هدف سوى التسلية والاستمتاع بالشغف الكامن فى صدفة كهذه، لكنه بدا مصممًا على أننى أحاول استخدامه فى قتل أمراضى. قال وآثار ضحكته المنتهية ما زالت فوق ملامحه:

– جميل جداً يا من عرفت من هو الفنان الحقيقى، وما هى المعايير والسمات الأكيدة للتحقق. رائع جداً يا من أدركت ما هى البداية، وما هو التطور، وما هو العالم الأدبى الخاص. مبروك عليك

توقفك عن كتابة برامج الحياة والكتابة والعلاقات. يا ريت كل بنى آدم يتحول مثلك إلى شخصيتين: واحدة تعيش والأخرى تتفرج طوال الوقت بمتعة واطمئنان على الفيديو كليب الخاص بالأولى. أليس هذا حلمى الذى ما زلت أعيد كتابته مرارًا وتكرارًا بأشكال مختلفة وحققته أنت أخيرًا؟

فجأة دخلت صالة الفندق فتاة جميلة ونحيفة ابتسمت له ثم جلست بجواره. نظرت إليها بذهول وقلت له:

– أنا عمرى ما قابلتها هنا!

اختفت ملامح التهكم من وجهه وقال بجدية:

– أنت أصلا لم تأت إلى هنا من قبل. كل ما فى الأمر أنك تحلم بى.

شعرت بدقات قلبى تتسارع بقوة، ودوار ثقيل يقبض على رأسى فابتسم وتابع كلامه:

– أنا أيضًا أحلم بك الآن.

حاولت أن أبدو متماسكًا لكن صوتى خاننى برجفته وخفوته وأنا أقول له:

– ما دمت تحلم بى؛ لماذا لا تعتبر هذا الحلم قرارًا غير متوقع بفعل صدفة مجنونة أخرى، وأن الذى يحدث الآن يتم فى ميعاده المناسب كما ذكرت لى من قبل؟ لماذا لا تتصرف بعد الاستيقاظ من هذا الحلم وفقًا للمعرفة التى حصلت عليها منه؟ أستطيع أن أخبرك مثلا عن أبيك وأمك وأخويك وجدتك، عن بعض التسجيلات النادرة لمسرحيات (إسماعيل ياسين) التى ستضيع منك أو عن ما سيحدث بعد زواجك بهذه البنت وبعد أن تنجبا طفلة.

قاطعتنى ضحكتها العالية التى لم تتناسب مع قسماتها الرقيقة والهادئة. نظر إليها والابتسامة لم تغادر شفتيه ثم التفت لى وقال:

– لأننى –كعادتك– لن أتذكر شيئًا مما حدث بعد الاستيقاظ. أنت غالبًا تنسى الأحلام، وهذا الحلم أنت لن تتذكر سوى تفاصيل مبتورة وشاحبة منه، ولن تمتلك تأكيداً على وجودها. مثل كل مرة خيالك هو الذى سيكتب هذا اللقاء. أما من سيتذكره حقًا وبدقة متناهية شخص ثالث يحلم بنا الآن. سيعيد حكى كل شىء كنكتة. كتاريخ غير مهم على الإطلاق قد ينتقل من ذاكرة إلى أخرى بفعل احتمالات كلامية فائدتها الوحيدة تمضية الوقت بأخف وطأة ممكنة.

نهض الاثنان من أمامى وخرجا من صالة الفندق وأنا أتابعهما برغبة عظيمة فى الضحك والبكاء، وفى اللحظة التى شعرت فيها مستغربًا بانتصابى، رن موبايلى فاستيقظت لأرد. وجدت موزع المخدرات السابق يعتذر لى عن عدم الحضور بسبب تأخره فى النوم، ثم أخبرنى وهو يضحك بشدة، بأنه عند مقابلتى له فى موعد آخر سيحكى لى عن حلم غريب رآنى فيه أمشى فى شوارع المنصورة بملابس فرعونية ممسكًا ميكروفون لأحكى للناس كيف يقنع الشيوخ المسيحيات بدخول الإسلام.

***

سـريـر

صنعني أحد النجارين بـ(سيدى عبد القادر) فى الخمسينيات، واحتفلت عليه بتحويل ابنة الخياطة خريجة معهد المعلمات إلى امرأة. ظللت تضاجعها فوقى عشرات السنوات، وكنت تتمدد علىّ محدقًا فى السقف لفترات طويلة وأحيانًا تبكى. تحوّلت إلى فراش طفل صغير يقضى حاجته على نفسه طوال أعوام الزهايمر التى أنهاها الموت.

تمدد علىّ اليوم، وبعد ثمانية سنوات من غيابك، شخص لا يعرفك. ابنك أيضًا لم يعرفه سوى اليوم. شخص طلب أمام الكاميرا من البنت التى سيبدو أنه كان نائمًا معها فوقى أن تغنى له أغنية قديمة قبل أن ترحل. ابنك لم يكن يعلم وهو يكتب القصة ويعد السيناريو، أنه سينام علىّ. كانت رغبة المخرج الذى لا يعرفك أيضًا. هذا الرجل كان عليه أن يكون واحدًا من البشر الذين يعيشون ويموتون داخل ابنك، وكان على البنت أن تكون الجارة التى تركت فى

نهاية طفولتها بيتك هذا، وكانت تغنى فوق سلالمه تلك الأغنية بينما الطفل الذى قابلها صدفة بعد عشرين سنة تعوّد مراقبتها دون أن تشعر. عرفت اليوم أن الطفل صار زوجًا وأبًا وملحداً، وأن الطفلة صارت زوجة وأم ومومس منقبة.

بعد الانتهاء من تصوير (إخفاء العالم)(١) رحل الجميع. ربما كان الإجهاد مجرد عذر لعدم رجوع ابنك إلى بيته وتحقيق رغبته فى أن ينام مكانك تلك الليلة.

آلمتنى تقلبات أرقه طوال الليل فظللت أتوجع بقوة مسموعة لكننى هدأت تمامًا حينما بدأ يفكر فى الجارة الحقيقية التى لم يضاجعها أبداً، وفى الممثلة التى أدت دورها والتى لا يظن أنه سيتمكن ذات يوم من الوصول لجسمها فى الواقع. عرف ابنك إلى أى مدى صرت عجوزاً، وإلى أى مدى نجحت شيخوختى فى جعل الحياة عبئًا قاسياً علىّ. لكنه بعد أيام وبينما كان يشاهد الفيلم أدرك أننى خدعتكم جميعًا. النجار وأنت وزوجتك وابنك والممثل. رآنى فى الفيلم أكتم ضحكاتى بشغف طفل يراقب من مخبأه السرى حيلة دبرها لكبار غافلين. الحقيقة أنه رآنى ميتًا أكثر مما كان يتوقع.

بالإصبع الصغير لقدم أعمى

حلمت بأننى قضيت ليلة فى بيت إحدى الصديقات على فيسبوك. كان كل ما أعرفه عنها أنها جميلة وشاعرة وخفيفة الدم وثورية وتعمل صحفية بجريدة قاهرية. طوال سنوات وجودنا على فيسبوك لم نتبادل الحوار أكثر من أنها هنأتنى مرة بعيد ميلادى، وأننى هنأتها ذات يوم بصدور ديوانها. لم أر فى الحلم أى مشهد جنسى بيننا. رأيتنى فقط مسترخيًا فى سريرها، ومستمتعًا بإشباع ما بعد الممارسة بينما هى تخرج من الحجرة بالروب الذى تلبسه على اللحم لتفتح الثلاجة وتشرب من زجاجة ماء ثم تعود إلى السرير. قررنا قبل النوم أن نكتب "ستاتوس" رمزيًّا واحدًا على صفحة كل منا بحيث يمكن لأصدقائنا المشتركين على فيسبوك أن يستنتجوا منه ما حدث بيننا. أحضرت اللاب توب إلى السرير، وبعد أن انتهينا أخذتها فى حضنى واستغرقنا فى النوم.

حلمت -أثناء نومي بجوارها- بأنني استيقظت في الصباح فوجدت جميع أصدقائنا المشتركين على فيسبوك نائمين في كل مكان بالبيت. حول السرير وفي الصالة وداخل بقية الحجرات. كان كل منهم ممسكًا -في أثناء نومه- بلاب توب وصفحة فيسبوك مفتوحة على الشاشة. دخلت من أحد الأجهزة على صفحتي فلم أجد أي "لايك" أو أي تعليق على الـ"ستاتوس". دخلت على صفحة الصديقة فوجدتهم قد غمروها بلايكاتهم وتعليقاتهم الجميلة على نفس الـ"ستاتوس" كما قاموا كلهم بتشييره. شعرت بغضب شديد ووجدت يدي ممسكة فجأة بمسدس، وكان كاتمًا للصوت، فمررت على جميع أصدقائنا النائمين مطلقًا على كل واحد منهم رصاصة في رأسه حتى قتلتهم جميعًا. وجدت الصديقة تقف خلفي بعد أن استيقظت من النوم وتصرخ: عملت ليه كده! عملت ليه كده! ظللت واقفًا أمامها مذهولا ومرتعشًا حتى سقط المسدس من يدي فاقتربت مني بهدوء وهي تبكي ثم أمسكت بيدي وقالت: خلاص، ولا يهمك.

أعادتني إلى حجرة النوم وقبلتني ثم خلعت الروب وأخذتني في حضنها إلى السرير. بعدما انتهينا وضعت رأسي بين ثدييها، وظلت تتحسس وجهي بحنان وألم ثم قالت بصوت حزين وخافت: أنا هفضل معاك على طول، وهنفضل ننام مع بعض لغاية ما نموت بس بعد إللي عملته النهاردة أنا مضطرة أحذفك من قائمة أصدقائي على فيس بوك.

رفعت عينيّ إليها مصدومًا، وسألتها والمهانة تحرق دمائي:

- وأظن كمان هتعمليلي "بلوك"!

هربت عيناها من عينىّ ففهمت الإجابة، ولم أدر إلا وأنا أمد كفىّ نحو رقبتها محاولا خنقها، لكننى وجدت نفسى أستيقظ من هذا الحلم عائداً إلى الحلم الأول. كان نفس السرير الذى أخذت فيه صديقة فيسبوك بين ذراعىّ واستغرقنا فى النوم، لكن الحجرة تحولت إلى زنزانة داخل سجن طرة أثناء الحقبة الناصرية، وكان يجلس أمامنا على طرفى السرير عضوا جماعة الإخوان المسلمين (على عشماوى)، و(كمال السنانيرى). لم يبدُ على الاثنين الانتباه لوجودنا فسمعت (على عشماوى) يسأل (كمال السنانيرى): اتصلت بمدير أعمال (أوكا وأورتيجا)؟

رد عليه قائلا: أيوه. الهضيبى إداله كلمات المهرجان واتفق معاه على كل حاجة.

على عشماوى: هى بتقول إيه الكلمات؟

كمال السنانيرى: الألش لأ لأ.....

على عشماوى: بس دى مسروقة من أغنية لحكيم!

كمال السنانيرى: متهيألك.

على عشماوى: طب كمّل.

كمال السنانيرى: الإسلام حبيته وروحى فيه. شايله معايا وبحكم بيه.

يقاطعه (على عشماوى): يا عم هى أغنية حكيم؛ حتى أكملهالك أنا.

كمال السنانيرى: اتفضل.

يقف (على عشماوى) على السرير ويغنى راقصًا: أنا حر فيه. أجيبه وأوديه. ونفسى حد يقولى لأ.

يصفق (كمال السنانيرى) ويكمل: الألش لأ لأ... لا لا لالا.

سخرت بقوة فلكزتنى صديقة فيسبوك بعنف فى كتفى فالتفت إليها لأجدها تحولت إلى أمى الميتة وهى تنظر لى بعتاب.

قالت غاضبة: الأدان بيدن..

قلت لها: بس أنا مش سامع أدان!

قالت أمى: ركز وانت تسمع.

أنصت فسمعت صوتًا خافتًا لم أتبينه فى البداية، لكنه بالتدريج صار أكثر وضوحًا فوجدته صوت (إيمان البحر درويش) يغنى: فى البحر سمكة. بترزق سمكة. على الشط واقف. صياد بشبكة. ونونة تضحك. وتقول لبابا. يا بابا هات لى بسكوت ونوجة.

لحظتها أدركت أننى أحلم، وقررت الاستفادة من ذلك لتحقيق أمنيتى القديمة: الطيران وسط الغيوم وقت الغروب بصحبة أغنية (فرانك سيناترا) ((moon river، رفعت ذراعىّ وأنا فى السرير محاولا البدء فى التحليق لكن صوت أغنية (إيمان البحر درويش) ظل يعلو دون توقف حتى فتحت عينىّ مستيقظًا من الحلم. التفتّ إلى السرير الآخر حيث طفلتى ما زالت نائمة وبيديها الصغيرتين باكو بسكوت وقطعة نوجة.

***

اللعب بالفقاعات

(١)

حينما قذفت أختك الكبرى رواياتك البوليسية من البلكونة في إحدى نوبات غضبها الهيستيرى منك، وحينما رأيت العابربن فى الشارع يواصلون سيرهم دون أن يرفع أحدهم رأسه ناحية الصرخات الأنثوية الهادرة المندفعة من الضلفتين المفتوحتين بكامل اتساعهما، ودون أن يلقى نظرة واحدة على جثث المغامرين الخمسة والثلاثة والشياطين الـ١٢ المبعثرين من حوله؛ عرفت لحظتها أن الحياة لا يجب أن تؤخذ بجدية، وأن أول ما خُلق فى المرأة هو حنجرتها. رغم أنك خرجت بعد منتصف الليل إلى البلكونة ووجدت الروايات البوليسية ما زالت ملقاة، ولم يكن هناك أحد يمر فى الشارع، إلا أنك لم تفكر للحظة واحدة فى النزول لاستردادها. كان يجب عليك فقط البدء فى كتابة هذه القصة:

(كانت البداية المكشوفة للخط السحرى الفاصل بين نهدىّ خطيبته الكبيرين عنصرًا أساسيًّا فى أغلب صورها على فيسبوك. الخط الذى كان يطول فى بعض الصور ويقصر فى الأخرى، ومعه تزيد وتنقص مساحة الحنان الخمرى المنتفخ الممنوحة للعيون. كانت التلميحات الهائجة التى يكتبها الرجال تحت صدرها تثير ضحكاته القوية).

(٢)

بعد موت أمك ومرض أبيك الذى أفقده الذاكرة والنطق والحركة، اختفت كل العوائق الصغيرة الهشة التى كانت تحجّم بقدر ضعيف شراسة صرخاتها فيك. لكنك أثناء احتراقك اليومى بشتائم أختك وبمعايرتها لك على فشلك الدراسى وبطالتك، وعلى طباعك المستهترة، لاحظت أنها لا تطلق صرخاتها إلا وهى جالسة على أقرب كرسى للمطبخ، حيث شباكه المفتوح الذى لا يفصله عن شبابيك الجيران -المفتوحة أيضًا- سوى مسافات قليلة للغاية. كنت تضحك بمرارة بينك وبين نفسك حينما تراها تبدأ أحيانًا فى سبابها المرتفع من أى مكان داخل البيت، ثم تسرع على الفور لتجلس على هذا الكرسى لتُسمع الناس إهاناتها لأخيها الصغير، وليعرف كل من فى العمارة مدى قوتها. هل كان الجيران يعرفون أيضًا أن مواجهتك لها بشتائم وصرخات مقابلة كانت تتوقف فجأة لعلمك بأن ردودك عليها ستزيد من قوة ووقت دورها الأوبرالى فى الحياة؟ كنت تغلق باب حجرتك على نفسك وتسكت وتنتظر حتى تنتهى ثم تتردد كثيرًا

قبل الخروج من البيت خوفًا من أن تصادف أحدًا من الجيران. كنت تنزل السلالم بأقصى سرعة وفى رجوعك تصعد كالهارب من مطاردة مفزعة. لا يمكنك أن تنكر أنك فكرت أكثر من مرة فى قتلها، ولكن الذى منعك ليس رفضك أن تدفع روحك ثمنًا للتخلص من حنجرة فحسب، وإنما كان يعنيك أيضًا بقاء هذه الحنجرة فى الحياة لتكون دليلا حيًّا وحاضرًا دائمًا أمام عينيك على صحة الكوميديا الكامنة فى كراهيتك للفناء. عليك الآن أن تكتب سطورًا جديدة فى القصة:

(فى حفل توقيع خطيبته لمجموعتها القصصية كان الخط السحرى الفاصل بين نهديها كريمًا فى ظهوره من ملابسها المفتوحة، وبالطبع كان متأنقًا بلمعان العرق تحت الإضاءة الحارة. كان يجلس بجوارها مبتسمًا وعيناه تراقبان بتهكم نظرة كل واحد يأتى إلى الطاولة حاملا نسخته ويعطيها إلى خطيبته لتوقعها. كل واحد تمنى لو زادت كلمات التوقيع ليطول وقت وقوفه أمام كنزها المهيب، وحينما تأتى لحظة انسحابه ممسكًا بنسخة موقعة يحرص على توديع ذلك الكنز بنظرة طويلة مركزة وبإحساس قاتل باليتم.

لكنهما أثناء جلوسهما على كورنيش النيل بعد انتهاء الحفل، وبينما كانا يضحكان، اقترب منهما شخص لا يعرفانه وطلب منه إشعال سيجارة. أعطاه ولاعته بتلقائية، وبعد أن أشعل ذلك الشخص سيجارته ورد إليه الولاعة مد يده فجأة إلى ثدى خطيبته وأمسكه بقوة ثم أسرع بالجرى. كانت يده خبيرة لأنها لم تمسك جزءًا منه، وإنما تمكن فى هذه اللحظة الخاطفة من إدخالها تحت ملابسها والإمساك بنهد خطيبته كله ثم سحبها على الفور. كان من الطبيعى

أن تصرخ خطيبته وتبكى، وكان من الطبيعى أيضًا أن يحاول الجرى وراء ذلك الشخص والشتائم تتدفق بغضب من فمه قبل أن يتوقف بعد اختفائه وإدراكه صعوبة اللحاق به. كان من الطبيعى أن يعود كل منهما إلى بيته حزينين جدًا).

(٣)

حينما تتزوج ستعرف من صوت زوجتك، خاصة وقت عصبيتها، أنها كانت ضفدعة فى حياتها السابقة. سيقترب صياحها أثناء الشجار معك بدرجة غريبة فعلا من الصوت المألوف للضفدعة، والمذهل أن عينيها ستشبهان إلى حد كبير عينى الضفدعة. زوجتك التى أحببتها سبع سنوات فى صمت، وعشت معها قصة حب سينمائية سبعًا أخرى، وخطبتها سنتين، ولم تكتشف فصيلتها إلا بعد الزواج. لن تتقيد زوجتك بمسألة الجلوس على أقرب كرسى للمطبخ التى كانت شقيقتك ملتزمة بها. ستكون أكثر تحررًا فتتعوّد أثناء صراخها فيك ومعايرتها لك على جلوسك فى البيت بدون عمل واعتمادك على المساعدات الخارجية من أهلها، وأحيانًا من أهلك، ستتعوّد على التنقل فى مختلف أنحاء الشقة، وتحديدًا بالقرب من الشبابيك. ذات يوم، وبينما تنظر إليها ونقيقها المتشنج يمزق هواء الشقة والعمارة، ستشعر برغبة قوية فى الضحك، وتفكر فى أن انتقالك من أختك إلى زوجتك ليس صدفة بالتأكيد، وأن هناك شيئًا غيبيًا فى الكون يبعث إليك شخصيًا برسالة انتقامية لا تعرف سببها. ستتمنى لحظتها فجأة أن تصاب زوجتك بسرطان الحنجرة. لكنك

بعد وقت قصير ستتذكر الأيام المتعاقبة التى لم تنم فيها عندما أخبرتك بأن شيئًا بحجم حبة العدس تشعر به فى ثديها. ستتذكر اقترابك الشديد من الإغماء وأنت تنتظر نتيجة الأشعة وفرحك الجنونى حينما أخبرتك الطبيبة بأنها بخير. تواصل كتابة القصة:

(حينما عاد إلى البيت، وبينما كان يفرغ جيوبه، انتبه إلى الولاعة فلم يتردد فى إلقائها من النافذة. بعد أن وضع رأسه على المخدة وأغمض عينيه لم يكن ما يعذبه مشهد ثدى خطيبته وهو فى يد ذلك الشخص الذى أشعل منه السيجارة فحسب، بل كان الألم الأكبر نابعًا من إحساس شاحب ومبهم بالفرح. لا شك فى أن دماءه كانت تغلى بعنف وشعور بالمهانة يقطّع روحه بينما رأسه المشتعل يتوسل لذاكرته تصحيح ما حدث هذا المساء وتثبيته كوهم أو استبعاده تمامًا. لكن كان فى داخله شيء خافت وغريب يجبره على الامتنان لهذا الاعتداء. لذة تشبه كثيراً تلك التى يحصل عليها الخارج منتصراً من معركة ما. كان يفرك قدميه تحت الغطاء كطفل مطمئن توجعه الضحكات المكتومة التى زرعتها الفرجة بشغف على حيلة خبيثة اصطادت بشراً لا يخصونه. قضى فترة طويلة فى محاولة التوصل لتفسير يبرر هذا التناقض، لكن برز فجأة مشهد جديد فى ذهنه جعله يزيح ما كان يفكر ويشعر به ويستغرق كليًا فى مواجهته. استعاد عينى خطيبته لحظة إمساك ذلك الشخص بثديها. اكتشف مصدومًا أن عينيها لم يكن فيهما نظرة فزع أو ذهول، بل على العكس؛ كان فيهما ما يشبه السرور الشهوانى رغم صرخاتها الباكية. شعر أن قطاراً يمر فوق جسده ببطء وهو يحاول إقناع

نفسه بأن ما يسترجعه ليس إلا تخيلا خاصًا نسجته انفعالات مضطربة وغامضة، ولكن تأكده من صحة ما رآه بقى ثابتًا. ظل يعيد ما حدث على الكورنيش دون توقف ثم أدخل يده تحت ملابسه وبدأ في الاستمناء).

إمساك الفراشة

فوق السرير ظلت (ملك) تشير بإلحاح إلى موبايلى فشغّلت لها أغنية (كان فيه فراشة صغنططة). بدأت (ملك) ترقص كالعادة وأنا أتأملها مبتسمًا حتى وصلت إلى حافة السرير وخطت إحدى قدميها فى الهواء. رفعتنى يدا أمى المفزوعتين من على الأرض ولم أكن أشعر بأى ألم. كنت أصرخ وأبكى لرغبتى فى الإمساك بالفراشة التى كانت تلعب مع (نيللى) فى التليفزيون. اقتربت أكثر من الشاشة هاربًا من سباب أبى لأمى ولعناته للسُفرة التى سقطتُ من فوقها. مددت يدىَّ الصغيرتين محاولا اللحاق بالفراشة. تلقفت (ملك) قبل وقوعها من على السرير وأنزلتها على الأرض. كانت أصابعى تتحسس مكان الألم الذى شعرت به الآن فى رأسى بينما جرت (ملك) مع الأغنية لتحاول الوصول إلى الفراشة التى لم أنجح أبدًا فى الإمساك بها.

***

152

المزرعة السعيدة

ترجمة: ممدوح رزق

153

بسبب أنفى الكبير كان زملائى فى المدرسة ينادوننى (مناخيرو)، و(منخر). لم أشارك فى ثورة ٢٥ يناير، وكل يوم أزداد سعادة بعدم مساهمتى فى تقديم أى خدمات للإسلاميين. تعرضت لإهانات بالغة من زوجتى وأهلها، وأعددت أكثر من خطة للانتقام، لكننى لم أنفذ أيًّا منها حتى الآن. بعد عشر سنوات تقريبًا من استخدامى للإنترنت أستطيع أن أؤكد بمنتهى الثقة أنه صاحب فضل كبير فى مقاومة السلطة الأدبية للمركز القاهرى، وصاحب فضل أكبر فى ترسيخها. حينما أعود إلى (لندن) الشهر القادم، سأوقع روايتى الجديدة بمكتبة Trick سيكون يومًا ممطرًا، وسأتناول العشاء مع أجمل امرأة بالحفل، وسأعطيها توقيعًا آخر حينما نذهب إلى بيتى.

أحببت فى طفولتى فتاة جميلة جدًّا أمرتنى أن أقول (أنا حمار) حتى تحبنى، وبعد أن قلتها أخبرتنى بأنها لا تستطيع أن تحب أحدًا

ليست لديه شخصية. من الرائع حقًّا أن تمتلك القدرة الثورية على إسقاط ديكتاتور، ثم تتحول إلى مجرد رافض إنترنتى لإنشاء أحزاب دينية. لم أحصل على شهادة جامعية، وتم فصلى من كلية الآداب قسم اللغة العربية بعد استنفاد مرات الرسوب. حياتى مجاهدة كبرى فاشلة لأن أعيش حياة الكاتب الغربى كما أراها فى أفلام السينما. سأحضر اللاب توب إلى السرير، وكتبًا ومجلات، وسنظل نحكى ونتناقش عن تاريخ الكوميكس حتى الصباح بينما نستمع إلى (فرانك سيناترا)، و(لويس أرمسترونج(، و(بيلى هوليداى)، و(إيلا فيتزجرالد)، و(دين مارتن)، و(إديث بياف(، و(بينج كروسبى)، و(مارلى هاجر)، و(شارلز أزنافور)، وسنحافظ على عرينا طوال هذا الوقت.

نتيجة استعراض التلاميذ فى الابتدائى لقواهم الجسدية؛ اخترت أضعف ولد فى الفصل، وأكثر من يتحاشى التعرض للشجار حتى أضربه وأحصل على أى مكانة داخل المدرسة، لكن الفسحة تحولت إلى حالة جماعية من الضحك الهيستيرى حينما نجح الولد فى طرحى على أرض الفناء بحركة واحدة، وبمجرد اقترابى منه، ثم جلس فوقى للحظات ونهض مكتفيًا بذلك حفاظًا على الصداقة، وربما شفقة علي سمعة عضلاتي التي لم تظهر حتي الآن. من أهم منجزات الثورة وصول الإرهابيين وكلاب حراسة الأنظمة إلى البرلمان كأغلبية، والتعتيم التام على حل عصاباتهم الدينية ومحاكمتهم. تهربت من أداء الخدمة العسكرية خوفًا من الموت، ورفضًا للخضوع لأى سلطة تريد إجبارى على ذلك النوع من الإذلال. بعد نشر كل نص لى لا

أحصل غالباً سوى على التجاهل أو ردود نادرة هزيلة للغاية تصدم في كل مرة توقعي، ولا تتناسب مع الجهد الذي قمت به أثناء الكتابة حتي لو كان الغرض الأساسي لبذله هو الاستمتاع الشخصي. في نهار اليوم التالي سنفتح جميع النوافذ الكبيرة لنبقى على متعة وجودنا وسط الحديقة الشاسعة بكثافة ملونة، المحلقة نحو البحر، وسنجلس لنشاهد كلاسيكيات السينما العالمية: ذهب مع الريح، كازابلانكا، الشيخ والبحر، أضواء المدينة، لاسترادا، الهروب الكبير، الطيب والشرس والقبيح وغيرها.

في مراهقتي كان التقرب إلى الكائنات الأسطورية داخل المدرسة والجامعة والشارع مسألة حياة أو موت. الأشرار والخبثاء الغامضون المغلفون بالهيبة. مررت كثيراً بحالات اكتئاب شديد عندما كانوا يواجهون أمنيتي في صداقتهم بالتجاهل أو بالتهكم أو بالحيل المؤذية. كنت أعجز عن النوم بسبب محاسبتي القاسية لنفسي على ذهابي إليهم محاولا في نفس اللحظة العثور على أي طريقة تجعلهم راضين عني. كنت أعجز عن النوم بسبب الفرح كلما شعرت من أحدهم بأنني صرت قريباً منه بدرجة ما، أو إذا بدر منه أي لفظ أو تصرف يشير، ولو من بعيد، إلى أنني على وشك أن أكون صاحبه. لا تشكر النخب وقادة الحركات الثورية القدر على عدم تحولهم إلى (شهداء) فحسب، بل يشكرونه أيضاً على هدايا السماء التي فتح أبوابها من أجلهم قتلى ما قبل التنحي وبعده، والذين تركوا مصيرهم –عن عمد– لقوانين المخلوع حتى ولو كانوا ضحية إبادة جماعية كما حدث لجمهور الأهلي في ستاد بورسعيد. ما زلت أقضي حياتي

عاطلا، وأعيش الآن على الفوائد القليلة التى يمنحها الرصيد البنكى لزوجتى بعدما ضيعت ميراثى عن أبى. فى مصر حينما لا تحصل على جائزة شهيرة، وحينما لا تمتلك مساحات ثابتة أو شبه ثابتة فى مطبوعات معروفة لتكتب فيها أو يُكتب فيها عنك باستمرار، وحينما لا تترجم لك مؤسسة لامعة كتابًا على الأقل، وحينما لا تكون مدونًا متنقلا بين المنظمات والجمعيات التى تعطيك تمويلات لمشاريع أو فرص السفر للرقص والنوم مع فتيات أوروبا ثم نشر صورك الملحمية على فيسبوك، باختصار إذا لم تكن لديك قدرة على انتقاء الأصدقاء تعادل أو تفوق القدرة على الكتابة، فأنت لم تفعل شيئًا بعد. فى منتصف اليوم سنذهب بالقطار إلى (باريس)، وسنخوض مغامرة داخل المقاهى الباريسية لاكتشاف الأنفاس المخبوءة لـ(كامو)، و(بيكاسو)، و(همنجواى)، و(سارتر)، و(سيمون دوبوفوار)، و(هنرى ميللر)، و(آناييس نن) وغيرهم.

يبدو أننى سأظل أجلب لنفسى الإحراج حتى آخر لحظة من حياتى بسبب ما يصدر عنى من كلمات وتصرفات تدل على سذاجتى وارتباكى. لم تخطئ الثورة المصرية فى أى شىء، كما أنها لم تتعرض لأى هزائم من جبهات معادية؛ ما يحاول أن يثبّته الخطاب السلطوى للثورة عن أخطائها وهزائمها هو -واقعيًا- تأكيد لنجاحها فى تحقيق الأهداف الحقيقية التى قامت من أجلها. لم أعد أتحمل حتى الحد الأدنى من البشر الذين أحتاجهم على مستوى الأسرة والصداقة والعمل. أندم كثيراً على تورطى فى مناقشات انفعالية مع أصدقاء لا يستطيعون رؤية خطوة أبعد من الخنادق المختبئين بها، ندم لدرجة الرغبة فى إحداث أى

جرح ممكن فى نفوسهم، لكننى أعود دائمًا لتذكر أن الحياة، والكتابة تحديدًا، تتطلب هذه الحماقات الضرورية، وأن بمقدورى دائمًا تنفيذ اللحظة المثالية بالاختفاء وترك نصوصى بديلا عنى لينفصل بصحبتها أى من أصدقائى بعيدًا بدرجة ما عن ذاكرة المقاهى التى تجمعنا. فى نهاية الليل سنعيد الرقصة السحرية بين (وودى آلن) و(جولدى هاون) فى everyone says I love you على نهر السين.

أكتب هذا النص بينما ألعب (المزرعة السعيدة)، ويسعدنى إخباركم بأننى اشتريت فى هذه اللحظة أرنبًا جديدًا.

(*) **جون على:** كاتب بريطانى يحمل الجنسية المصرية، من مواليد مدينة (مانشستر) فى ١٩٦٩ لأب مصرى وأم انجليزية، ويعيش حاليًا بين (لندن) و(الزقازيق). يكتب نصوصه بالإنجليزية وأصدر مجموعة قصصية واحدة بعنوان Do not believe me عام ١٩٨٩ .

المتسول

كعادته ضحك بالدموع عندما نزل (عادل إمام) بعمائه الريفى من البيجو قادمًا من (خِربتها) ليمشى خطواته الأولى داخل قاهرة الثمانينيات. رن موبايله فجفف دموعه وكتم صوت الفيلم ليرد على مقدم الـ"توك شو" الذى سأله عن رؤيته -كباحث سياسى- لدور القوى الإسلامية فى مصر بعد ثورة ٢٥ يناير. ظل يتكلم بثبات وثقة بينما يتابع بعينيه التعاقب الصامت لأحداث الفيلم. مع مرور الوقت واستمرار النقاش بينه وبين ضيفى الاستوديو قرر أن يرفع صوت الفيلم قليلا.

بعد لحظات لم يجد مانعًا من رفع الصوت أكثر ثم استمر يرفعه تدريجيًّا حتى أصبح واضحًا جدًّا عبر الهاتف لمقدم البرنامج وضيفيه، لكنهم واصلوا الحديث الذى كانت تتخلله ضحكاتهم كلما سمعوا ما يستحق الضحك.

***

تفاصيل الموت

كل يوم يمر بدراجته على نفس المقهى وهو فى طريقه إلى الجامع. ينادى فى الجالسين بابتسامته الممطوطة وسط لحيته الكثيفة: "ميعاد صلاة العشا يا جماعة".

أثناء الصلاة يكون سعيداً. يؤمن بأنه يفعل ما هو أكثر من صلاة عادية، أو أنه يؤدى صلاة مضاعفة. أنه يمتلك الكثير فى كل صلاة قام بها كل شخص نهض من على المقهى، وذهب إلى المسجد بعد مروره بالدراجة وسماع تنبيهه. فى كل صلاة لم يؤدها كل من ظل جالسًا فى مكانه.

شىء ما جعله يقع اليوم من فوق دراجته. شىء جعله يتألم، ولكنه لم يكن الألم الذى يمنعه من الوقوف، وركوب الدراجة مجدداً، ومواصلة الطريق نحو الجامع. فى هذه الصلاة كانت سعادته أكبر. كان فرحًا للغاية بوجع السقوط الذى مثّل له مكافأة عظيمة. جعله

أكثر يقينًا بجدارته بهذا الجهاد اليومى المقدس فى سبيل الله. ما كان يزعجه فقط، ويحاول تخليص نفسه من آثاره، هو التذكر الذى كان يلح عليه رغمًا عنه للناس الذين نهضوا من المقهى، وساعدوه على النهوض، وظلوا بجانبه حتى تأكدوا من سلامته، ثم عادوا للجلوس ثانية.

***

قصص قصيرة جداً

قنص سهل

كعادتك فى الصباح ستحاولين بناء جسر بيننا. ستحدثيننى بشغف عن العصفور الذى أخرج رأسه من العش المواجه لنافذتنا، وراح يصدر أصواتًا كأنما ينادى على أحد. فى المساء، وبعد أن استلقت رأسك طويلا فوق صدرى، وبعد أن ظللت تفكرين صامتة فى أشياء كثيرة. سترفعين عينيك إلى وجهى، وتحدثيننى بصوت خفيض عن "البوم" الذى عادة ما يهاجم ليلا أعشاش العصافير الصغيرة.

ما يحتاجه الموت

فوق صفحة بيضاء منتزعة من كراسة رسم مدرسية، رسم بالقلم الرصاص سماء وشمسًا وبيوتًا وأشجارًا. رسم طفلاً يحمل بالونات كثيرة، ويمرح مبتسمًا بين الزهور. أثناء نومه. دخلت أمه لتنظف الحجرة من الأشياء التى لا أهمية لها. طوحت بورقة الرسم من النافذة لتسقط أمام رجل عجوز يمر بالصدفة.

الرجل العجوز التقط الورقة، وبعد أن تأمل طويلا ما بها طواها ووضعها فى جيبه، ثم راح يواصل السير محاولا السيطرة على رعشة قدميه.

العنوان الصحيح

كل صباح تخرج وتتجول كثيراً بخطوات متمهلة. لأنها لم تعد تعرف أسماء الشوارع تقف لتسأل المارة، وكلما أخبروها تخرج ساعتها القديمة، وتعيد العقارب للوراء. كل ليل تعود إلى منزلها متعبة، لكنها لا تستطيع الذهاب إلى الفراش قبل أن تتأمل فى المرآة تجاعيد وجهها، ثم تبتسم وتقول:

(سوف أصل غداً).

تطفئ مصباح الغرفة وتنام.

قتل ضمنى

كان هناك كلب صغير، وعصافير ملونة، وبعض من أسماك الزينة. ماتوا جميعهم فى حجرة طفل يسحبه السرطان ببطء إلى خارجها.

174

حياة

كانوا يطيرون. فجأة سقط الصغير لأن جناحيه ما زالا ضعيفين. ظل يقفز فوق الأرض وينادى مستنجداً. العصفوران الكبيران أخذا يحومان طويلا وهما غير قادرين على النزول لالتقاطه خوفًا من البشر. بالصدفة مر قط جائع. أخذ العصفور الصغير إلى أمعائه تاركًا قطرات صغيرة من الدماء. عاد العصفوران الكبيران إلى الشجرة حاملين المشهد فى عيونهما. القط عاد للسير فى الشوارع والاختباء تحت السيارات والتفكير فى الدقائق المقبلة.

لعبة

كان قادراً على أخذ التعاطف منهم وقتما شاء. بعضهم كان يبدو أحياناً على وشك البكاء من أجله. لكنه بعد أن يعود إلى حجرته يضحك بسخرية مستدعياً وجوههم ثم يرفع بصره لأعلى. حينما يجد المشنقة ما زلت معلقة فى السقف؛ يقرر أن هناك الكثيرين ما زال عليه زيارة بيوتهم.

مرايا

إذا فتحت شرفتك فى الصباح، ووجدت فوق أرضها ريشة صغيرة. أرجوك لا تلق بها بعيداً. هذه الريشة تخص طائراً وحيداً. ظل يغنى طوال الليل وراء الضلفتين المغلقتين، وحينما شعر بأنك لا تسمعه؛ أسقط ريشة من جناحه وحلق بعيداً. هذا الطائر يفعل ذلك كل ليل، ولأشخاص آخرين غيرك. حينما سيصبح بلا ريش على الإطلاق لن يستطيع الطيران، وسيظل يغنى واقفًا حتى يموت فى مكان لن يراه أحد. لكنك ستعلم بطريقة ما أنه غادر العالم. حينئذ سيمكنك أن تخرج ريشته التى احتفظت بها، وتنظر إليها طويلا لتكتشف إلى أى مدى يشبه الموتى بعضهم.

دفء

رجل يجلس فوق تل. يغزل صوفًا أبيض وعيناه تنظران إلى بعيد. يفكر في ما يمكن أن يفكر فيه أي أحد حين يمسك بألبوم صور قديم.

178

معرفة

ذهب رجل إلى شجرة ووقف ينتظر حاملا مطرقة ثقيلة. ألقت إليه الشجرة برأس طائر. نزل الرجل بالمطرقة على الرأس ثم أخذ يبحث بين العظام الصغيرة المتكسرة عن شيء ما ولم يجد. نظر إلى الشجرة بعتاب فألقت إليه برأس طائر آخر. فعل معه نفس الأمر وخاب أمله مجدداً. بعد مرات كثيرة تحولت الشجرة إلى غصن أسود شاحب حمله كلب بين أسنانه ومضى بعيداً تاركًا مطرقة، وكومة كبيرة من الأشلاء.

أمنيات

وقف يتأمل القضبان الحديدية الراقدة فى صمت. أدرك أن قطاراً مر لتوه. لم يكن يسمع صوته البعيد، أو يرى خيطاً واهناً من دخانه. كانت هناك سحب ميتة مرتمية فوق الامتداد النائم، ورائحة دماء لا تزال عالقة بالليل الذى لم يخصص له مقعداً فى عربات القطار.

انتظار

وقف وراء زجاج غرفة العناية المركزة. عيناه تتوسلان للخطوط الثائرة التى تصعد وتهبط على شاشة متصلة بقلب أمه. قدماه لا تجرؤان على تجاوز المساحة المؤدية إلى سريرها. يريد أن يظل مكانه رغم الثقل الوحشى للابتسامة التى يشعر باختبائها فى الفرا غ.

وداع

بعد مشى طويل وتطلع تائه فى وجوه السائرين سوف يجلس على أريكة أمام النهر. سيشعل سيجارته ويراقب السواد المرتعش للموجات الواهنة. سيفكر فى ذكريات قديمة، وسيبتسم رغم إلحاح البكاء على قلبه. سيطفئ سيجارته ويعود للسير مودعًا الأغنيات التى تتساقط منه.

طفلة

يدخل رجال كثيرون إلى بيتها ويخرجون. يتركون نقوداً تحت وسادتها أو داخل حقيبة يدها. في الليل يدخل أطفال كثيرون إلى أحلامها. يتركون في عينيها دموعًا حين تستيقظ. لكنها ليست الأحلام هي التي توقظها. بل المواء اليومي للقطة التي تقف وراء بابها في نفس الموعد كل ليلة. تناديها كي تضع لها -مثلما تعوّدت- بعض الطعام وكثيراً من الماء.

أم

داخل بيت قديم عجوز تشعل أعواد البخور. كل ليلة تصر على فعل هذا رغم صدرها الذى لا يتحمل. توزع خفوت بصرها فوق ملامح الأشياء القليلة التى تشاركها الوحدة والسكون. كأنها تبحث عن شىء تنتظره وتخشى ألا تراه حين يأتى. بعد وقت طويل، وحينما تقارب أعواد البخور على الانتهاء، تخرج صورة الطفل الذى كان يحب رائحتها وتحتضنها. رغم بكائها تبتسم وتقول لنفسها إن الملائكة لديها بالتأكيد أعواد بخور كثيرة.

نزيف

سأجمع تذكارتهن جميعًا داخل خزانة وأكتب عليها (تاريخ الثقوب).

مجزرة

صرخ في وجه زوجته بقوة حينما سألته عن سبب تجهمه ثم ترك لها البيت. أمسكت بعصا غليظة وانهالت بها على طفلها الذى طلب منها الخروج واللعب بالشارع. وقف الطفل في البلكونة وقذف طوبة ثقيلة في رأس قطة. حينما عاد الزوج ألقى نظرة خاطفة على جثة قطة صغيرة تحت بلكونة بيته ثم أكمل الصعود.

توحد

كلما رأى رجلا يقف فى الشارع ويتحدث فى التليفون يقرر فى نفسه بغضب أن هذا الرجل يتكلم الآن مع البنت التى يحبها. لم يكن فى حياته أى بنت أصلا.

كبت

كانوا يجلسون على المقهى حينما مر أمامهم. ضحكوا ثم نهض بعضهم وتوجه إليه. أوقفوه لتبدأ أيديهم فى تحسس مؤخرته. تشد بنطلونه. تضربه على قفاه. كان يضحك ويسبهم ويرقص. حينما ملّوا منه تركوه يذهب. آخر الليل وفى بيوتهم رأى كل واحد منهم فى نومه صحراء شاسعة ورأسه تطل من رمال متحركة. كانت بجوار رأسه امرأة جميلة، وكلما حاول الصعود إليها إزداد غرقًا لأسفل. بعيدًا كان يقف صاحب المؤخرة الكبيرة المضروب على قفاه ويضحك.

أب وابن

سنوات طويلة من صفعاته القوية على وجهى بسبب التقصير فى الصلاة أو اللعب بعد المدرسة أو التأخر عن تلبية ندائه. سنوات طويلة من بكائه الحاد فوق صدرى لسبب لا أعرفه.

جثة

حاولي -بقدر ما تستطيعين- عدم إبداء شعور بالاستمتاع. تذكري أنني فقط الذي يجب يكون مستمتعاً. أن مهمتك تقتصر على تحقيق ذلك. لا تتجاوزي حدودك.

ذات يوم

أنا غير راض عن حجم الأذى الذى أتعرض له منكم. أنتم طيبون أكثر مما يجب، وهذا مثير للضجر حقًّا. لماذا لا تحررون كراهيتكم تجاهى بكامل طاقتها؟ أرجوكم. أريد أن أتألم أكثر. لا تدعوا الشفقة أو التعاطف أو أى عاطفة تعطّل مسار الأذى الراغب فى إصابتى. أرجوكم. اقطعوا الطريق على أى رغبة فى الانتظار تحاول التسلل إلىّ من تحت الأبواب المغلقة.

إنسان كامل

أتحسس ثديىّ، مؤخرتى، أتساءل: ماذا لو..؟ لكننى فى النهاية أعود للإيمان بأن جسدى لا يصلح كبديل لجسد امرأة غائبة لا أعرفها. رغم اللذة الخاطفة والشاحبة جداً التى شعرت بها الآن.

فرصة

قطتي تحاول أن تقضم بأسنانها ورد الزينة، أبعدها بعنف فتنظر لي. نعم. أنا لا أستطيع أن أفعل هذا مع الآخرين، رغم أنهم يفعلون ما هو أكثر من محاولة قضم ورد الزينة.

لقاء

دائمًا بعد أن ننهض، يأتي النادل بمنشفته ليمسح الطاولة.
منشفة النادل متسخة تمامًا.

194

الكلمات الصحيحة

الصمت الحصين الذى حملته خطواتنا للداخل، الذى افترش الطاولة وفنجانى القهوة، ولم تخدش جدرانه أحاديث الجالسين والنظرات الجانبية لنادل متطفل، الذى أثقل المطفأة بنصف علبة سجائر، واستجاب لخطواتنا وهى تعيده للخارج. الصمت الحصين كان أليفًا بدرجة كبيرة حينما قبل القسمة على شخصين، بيتين متباعدين، سريرين، وسادتين تحاولان النوم دون فائدة.

عطش

زمزمية خضراء معلقة حول رقبة ولد صغير بخيط بلاستيكى أحمر. كانت تقبّله فى قلبه حينما يتقافز داخل فناء المدرسة، وحينما يشعر بجفاف حلقه؛ كان ينزع غطاءها الأسود ويشرب فيسترد فرحه. الزمزمية الخضراء صارت فارغة تمامًا لأن الولد الصغير لم يعد يتقافز داخل فناء المدرسة ولا فى أى مكان آخر.

مقبرة جماعية

ستـرتدين السـواد وتـحمـلين زهـورًا كثـيـرة بين يـديكِ ثم تقفين فى النافذة وتنظرين إلى الناس. بعد فترة ستعودين إلى حجرتك بـيدين خـاويتـين وستـخـبرين المرآة بـأن قبورًا كثيرة ما زال عليكِ زيارتـها.

ستاند أب كوميدى

لو عدتِ سوف أعد قهوتى وأغسل أطباق طعامى. سوف أرتب حجرتى وأزيل الغبار وأمتنع عن التمدد فوق الأريكة حتى لا تتهالك. سوف أمتنع عن التدخين والسهر وكسر الأشياء ساعة الغضب. سوف أجعلكِ تشاهدين قناة التليفزيون التى ترغبينها وأرضى أن تعاقبينى على أى شىء حتى الهزائم التى لم أكن سبباً لها. لو عدتِ سوف أقضى بقية حياتى فى الجلوس بجوارك واستعادة الذكريات والحكايات المختبئة فى الصور القديمة. سوف أقبّل تجاعيد وجهك دائماً وأحاول إضحاكك بأى طريقة. سوف أفعل أى شىء من أجلك؛ رغم تأكدى أنك لن تعودى؛ لا لشىء سوى لأن الموت ربما جعلك أكثر خبرة بالحياة بحيث تستطيعين فهم وعودى جيداً.

إدارة العالم

كان ماهراً في صناعة العرائس وفي ربط أطرافها بالخيوط. أجاد أيضًا اختيار الأدوار المناسبة لها في عروض لا يراها غيره. كان يعرف كيف يحركها ويجعلها تتكلم وتنفعل. حينما يشتد احتياجه للخروج من حجرته المغلقة؛ كان يرفع عينيه لأعلى متوسلا للممسك بالخيط المربوط بيده أن يحرّكه نحو مقبض الباب.

تنسيق التصدع

إلى وينسلو هومر

كانت لدى لوحة رجل وحيد يجلس فى قاربه ويصارع بمجدافيه العتمة الهائجة لأمواج البحر. أمامه سمكة ضخمة لا يظهر سوى ذيلها بينما الرجل يحدق فى نقطة ضوء بعيدة لسفينة تسير فى اتجاه آخر. هذه اللوحة قُطع جزء منها تحوم به إحدى السحب الرمادية التى احتدمت أعاصيرها فوق رأس الرجل. كان من الطبيعى أن أضع اللاصق من الخلف وأنا أعيد الجزء المقطوع إلى مكانه لأخفف من وضوح الانفصال. لكننى وضعت اللاصق من الأمام ليبدو التمزق واضحًا. لتصبح اللوحة أكثر ملائمة لحائط غرفتى ولعينىّ كلما نظرت إليها.

الكاتــب

* **ممدوح رزق**
* **صدر له:**

- خلق الموتى / رواية - سلسلة إبداع الحرية ٢٠١٢
- قبل القيامة بقليل / قصص قصيرة - دار عرب للنشر والتوزيع ٢٠١١
- سوبر ماريو / رواية - دار ميتا للنشر والتوزيع ٢٠١٠
- النمو بطريقة طبيعية / مجموعة قصصية مشتركة - دار ملامح للنشر ٢٠٠٩
- بعد كل إغماءة ناقصة / نصوص - دار المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات ٢٠٠٩
- السيئ في الأمر / نصوص - دار أكتب للنشر والتوزيع ٢٠٠٨
- ملامح وعرة / ديوان شعر مشترك مع الشاعرين السورى (عبد الوهاب عزاوى)، والعراقى (صلاح حسن) - اتحاد كتّاب الإنترنت العرب ٢٠٠٥
- رعشة أصابعه.. روح دعابة لم تكن كافية لتصديق مزحة / نصوص - معابر ٢٠٠٤

- جسد باتجاه نافذة مغلقة / قصص قصيرة - أدب الجماهير ٢٠٠١

- احتقان / قصص قصيرة - سلسلة إبداعات (الهيئة العامة لقصور الثقافة) ٢٠٠١

- انفلات مصاحب لأشياء بعيدة / قصص قصيرة - مطبوعات إقليم شرق الدلتا (الهيئة العامة لقصور الثقافة) ١٩٩٨

• دراسات :

- إعادة كتابة مصر / مقالات العام الأول من الثورة المصرية - جماعة ديوجين البحثية ٢٠١٢

- ٢٥ يناير : التاريخ .. الثورة .. التأويل / دراسات مشتركة - جماعة ديوجين البحثية - دار عرب للنشر والتوزيع ٢٠١١

- التجنيد الوهابى / دراسة فى آليات السلطة للعقيدة الوهابية - مركز حجازنا للدراسات والنشر - الدار البيضاء / المغرب (طبعة أولى ٢٠٠٩)، (طبعة ثانية / دار عرب للنشر والتوزيع ٢٠١١)

• تحت الطبع :

- بعد صراع مع المرض / ديوان شعر

- موت النص / دراسات نقدية

- صندوق الذكريات / قصص قصيرة للأطفال

١ - إخفاء العالم : قصة للكاتب من مجموعة (قبل القيامة بقليل) الصادرة فى ٢٠١١ وتم تحويلها لفيلم روائى قصير .

للنشر فى السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن.
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

إصدارات

سلسلة حروف

9- نظرة تانية للملامح ع الخريطة .... محمد ربيع محمد
10- في المستقبل القريب جدًا .... هشام محمود
11- للموتِ سُمْعَةٌ سيِّئةٌ .... سالم أبو شبانة
12- قريتنا تصنع أسطورة .... محمود أبو راجح
13- امرأة في المنام .... محمود أبو عيشة
14- بنات قِبْلي .... ماهرمهران
15- خذ كتابي بيمينك .... سوزان عبد العال
16- لوزة .... عبد الستار حتيتة
17- بِما يُناسِبُ حالتَك .... محمد سعد شحاته
18- يوم «الدُخْلة» .... ياسر سليم
19- ألعاب صغيرة .... أسامة الحداد
20- مسافات مقطوعة .... أشرف الشافعي
21- قلبي وإرثُ الأمتعة .... جيهان بركات
22- عادي جدًا .... مصطفى جوهر
23- كان هنا .... مجدى عطية

208

حروف 2 — مكان جيد لسلحفاة محنطة — ممدوح رزق — الهيئة العامة لقصور الثقافة — 2013

المجموعة ككل تمثل محاولة جادة لتجاوز
الحدود (النسقية) للقصة القصيرة إلى ملامسة
الأفق (النصي - المتشظي)، وبتعبير آخر، تسعى
المجموعة لتفكيك الاستعارة القصصية
المعهودة والإمساك بالمفارقة، ولا يقتصر هذا
على الحدود الضيقة للنص الواحد فقط بل
يتعداه إلى وضع النوع القصصي (ككل)
ومعه السرد عامة (لا يتضاءل بالتدريج حتى
يصل في النهاية إلى بضعة أسطر) أمام
استحالتهما القصوى نظرا لاستحالة الواقع
نفسه.. هنا ويتكئ السرد في المجموعة عامة
على (تقنية الحلم)، لا يكتنز بالصور والرموز،
وبالتداخلات الزمكانية، وبتبادل المواقع بين
الشخصيات والقضايا...

